مرايا لا تتشابه

تصميم الغلاف للفنان العالمي : رائد خليل

© جميع الحقوق محفوظة لدار الصحيفة العربية

الطبعة الأولى: **2023**

دار العراب

دمشق – سوريا – حلبوني الجادة الرئيسية

هاتف: **00963112247432**

جوال: **00963940455593**

E-MAIL:daralaraab@yahoo.com

دار الصحيفة العربية

بغداد – العراق – شارع السعدون

هاتف – **0096477077887944**

E-MAIL:nadia.tv1972@gmail.com

حيدر عاشور

مرايا لا تتشابه

قصص قصيرة

دار العراب

دار الصحيفة العربية

مُتْعَةُ الوهمِ

طوالَ الليل لم يتركوني أنام. هو يفرغ فيّ كل تعب النهار، والأطفال من حولي نصف يقظين أو يدعون النوم.. أرفع رأسي خِفيةً، أحدق بعينين حذرتين، وقلبي متألماً غير دارٍ لتعاسته، منتظرة ساعة انتهاء نشوته المثابرة غير -الشبعية-.. متلهفةً، مستلبة الإرادة. أصغي إلى لهاثهِ، لكل قلقه، أشمّ رائحة الخمر.. أعرف أية متعة له، وأنا لا حاجة بي إليها ولكنني لا أرفض طلباً له.

كانت ليلة طويلة، والغرفة ضيقة والجو صقيع، شعر بي لأول مرة.. نظر في وجهي مقطباً غاضباً. وأنا أقول له: سأعلي من شأنك في الحياة، سأخرجك من هذه الغرفة النتنة، سألبسك وألبس أطفالنا من الماركات ما يحلم بها كبار السياسيين وقادة البلاد. سأحقّق لك ما لم تستطع تحقيقه، سأجلب لك السمك واللحم والمشروب بدل -فلافلك- اليومية. فقط لا تخرج من البيت..!؟، ولا تسألني في أي سوق أتاجر.. ؟ أو تسألني ماذا صنعت لك.. ؟. كان باستطاعتي أن أفعل هذا الأمر أو ذاك دون علمك، لكن أنا حبيبتك، أنا لك.. دعني أتاجر بالخبرة بدلا من حكمة الفقر.

كان يسمعني دون أن تتحرك عضلة واحدة في وجهه، وهدوئه يُرعب روحي، انتظرت عاصفة رجولته طويلاً لكنه غرد: كيف يمكنني التنفس هنا، فالغرفة أشبه بقبر... ؟.

هذه الكلمات كانت طير السعد لي، فطرت مع الفجر إلى سماءٍ حمراء أغني بلا إرادة مني، أتوارى في النهار تارة، وفي الظلام تارة أخرى فخبرت علاماته الخفية، منطوية على سرّي كدم الأضاحي حين لا يستطيع ارتفاعاً يظلُ مطروحا عند الأرجل.. اشتهرتُ بفعلي عند ناس، واشتهرت بحزني عند آخرين وانتقلت من حالٍ إلى حال.. ولم ينته طريقي البطولي ولا شيء يوقفني عن جني ثروة تنغنغ بها زوجي، وأنا أشعل كل يوم مصابيح العار في بيت هو سيدته وأنا مُسترجلته، يأتي اليّ حالما أناديه. هذا القوي المتين الذي يحمل على ظهره أطنانا من المواد كالحمار ويرجع إلى البيت يأخذ حقه الشرعي مني أكثر من مرة، وأنا جثة جامدة. اليوم أنا سيده، أنهره واشتمه وهو يقول لي: أنا حبيبك الوفي.. ويقبّل تنورتي قبل شفتي. ويهمس لي: زوجتي أنت فنانة عظيمة، لا تطردينني من جسدك.

ورفع يده التي تحمل تعيينه اليومي من مشروبه الروحي، ومسَّ رأسي مسّاً خفيفاً وهو يحدق بي بعينين ذابلتين على طول جسمي: لا أعبأ بعملك، لا أعبأ بأسرارك. عملي هو تربية الأطفال ومتابعة تنظيف ملابسك وترتيبها وتجهيزها لمشروعك التعبوي من أجل بيتك.. إنك تجهُدين أجهزتك من أجلنا فمن غرفة بائسة إلى شقة فارهة وسط شقق كبار المسؤولين والميسورين، وسمعتنا يحلف بها القاصي وداني..

راقني جداً حديثه، وفرحت وشعرت بسعادة الانتصار؛ فما دام قانعا بأنوثته بهذا المقدار فليبقَ منحنِ على قدمي بهذا الشكل الحلو.. وأنا في كل يوم يمرّ ازداد ثراء، ولكثرة ما جمعت لم أعد أخشى أيا كان.. أصبحت حكومة منفردة في ثراء نفسها، أسكن الأبراج العالية ومنها أرى الفجر الذي طرد منه ولم أعد إليه كما كنت، ولم يندم قلبي لشيء، فقد زرعت لا غير، وزوجي حصد راحته بفقدان ذكورته وسلطانه على جسمي. وبين نفسي أشكره على شجاعته وملازمته لي.. كمْ من طرقٍ ملتوية عبّر معي، والسنين تمرُّ في هدوء. والريح الهائجة تلفح قلبي فأقع فأصبحت شخصاً آخر يتألم، أطفئ عطشي الجديد بلذة الحب لا بلذة الجسد.. فأنا جسد بلا لذة، أرض تعطي بلا إحساس.. لكن الآن قد مسّ اللهب السماوي قلبي النائم، بعد أن كنت سريراً مشاعاً لكل من يدفع لي. فالصائد مدّ شبكته فصاد طيرة الفجر.

كان لقاؤنا الأولى مخيفاً لي، فهو ضخم وجميل، وما كنت أصدّق أن قلبي سيُفتن بشخص ما، يظل عالقاً بروحي كظلي، يفقدني راحة البال. كل دقيقة كانت معه تنقلني إلى عواصف غبراء تعمي بصري.. سريعاً ما أنسى أمسي فقررت الهروب إلى مجهول معه. فقد صاغ الحياة لي بالكلام، وحرث بي متعة ما شعرت بها وأنا أنتقل مثل الريشة في غابة الليل. لم أعد أرى شيئاً سوى أن أتخلّص من حياتي الماضية، قلبي بالرغم مني يحثني على أن أحرق الماضي، أن أقتل المخنّث حين يتلفّظ بالقرب مني.. يطيب

لي بعد طيران طويل ومال وفير أن أتنفس الحب، أصغي لقسوة أعنف لجسدي.

وعلى سرير الحب أقترح حبي خطة التخلّص من الماضي بأثر رجعي، أن أعيد زوجي إلى ماضيه، أن أحرمه من جميع اللذات، أعيده إلى أكل – الفلافل-. حتى خرج صوتي وصوته عالياً من نوافذ وأبواب الشقة.. كصرير حفارة العمارات العالية، كالانفجارات المجانية، تهب وتقتل وتهدئ.. ونساء ورجال البيوت المجاورة هبّوا كالريح من الجهات الأربع دخلوا بيننا ليخفّفوا المعارك اليومية، ملّوحين وملّوحات وينقلن عليّ نظرات الاستعطاف وعليه نظرات الاستنكار..

وبهذا الجو المشحون بالجيران، وقف زوجي ليعلن محكمة قاضيها سكان العمارة وهو بقضائهم راضٍ قانع سينفّذ كل ما يطلبونه.. سألوا ماذا مشكلتك مع زوجتك.. ؟

قال وبكل صراحة وبصوت عالٍ ولم يرفع عينيه وهو يشير بيده إلى مائدة الطعام : هل هذا عشاء من تكون زوجته مومساً من الدرجة الأولى.. ؟!.

صحوت على صوت الممرضة وهي تقول أيتها المسترجلة: عشاؤك هذا المساء في المصّحة -فلافل- لم يزركِ هذا الأسبوع أحد...

الفجر

أذان الفجر يرافق خطواته، يقال إن نزوله إلى الحياة كان مع لفظة الأولى للتكبير الصباحي فجعل كل مناماته تنتهي بالتكبير، أعظمها ذلك المنام الذي رافقهُ وهو في تمام قيافته وأناقته، كان شبياً بالممثلين والمطربين، حين يرتدي بدلته الرصاصية وحذاءه الأسود، ويقلب شعره إلى خلف جمجمته فيظهر جبينه وكأنه شخصية قد أمسكت بيدها أشعة الشمس لتغزلها تيجاناً لمن يحب أو تلتقط النجوم لتعمل عقود زينة لعشيقاته المتخيلات. لكن القدر كان له بالمرصاد، فاللون الرصاصي كان علامة وسطاً لا هو في القمة ولا في الأسفل. لذا منذ أن لبس بدلته الرصاصية أصبح ليس من الناجحين ولا من الفاشلين وان نجح ينجو بقدرة قادر. قضى حياته على شفى حفرة لا ساقطاً فيها ولا منج منها. وقتها كان كالطاووس يتبختر بنشوة الدماغ وفجأة يسقط وسط بركة طين. نهض منها بصعوبة، وحين نظر إلى نفسه وجد بدلته الأنيقة قد انتصفت نصفين، نصف بلون الطين الصافي وبشكل جميل كأن رساماً محترفاً قد رسمه بدقة متناهية بلونين الرصاصي والطيني. سار بشكله الجديد باتجاه قرص الشمس، تحسس برودة تجمد جزء من جسده رغم قوة حرارة الشمس، حاول الرجوع ولكن لم يفلح نظر إلى خلفه وعن يمينه ويساره، وجد نفسه يسير بخطوات متزنة محسوبة، كأنه محنط أو يشبه تمثال طيني تحركه أياد خفية

وأرواح غير مرئية. العجيب لا خوف في عقله وعقلي يستدرك الأشياء ويحسبها حلم لكن الواقع أمامي لا بد من أن احترق بالشمس ولكن كلما اقتربت منها أشدت برودة جسمي.

وعلى غرة أتحول إلى فضاء بيت كنت قبل أربعين سنة لا أفارقه ثقلت قدماي وشهقت باكيا ودخلت دون أن استئذان أحد .. ظهرت تلك القبيحة أمامي وهي تملأ نصف وجهها ببياض والنصف الآخر بالسحنة الطبيعية. سألت وأنا أسير بخطوات ثابتة كأن الحياة تنقلني عبر نفسي سنين: هل هذا بيت فليح الإجابة نعم.. دخلت باحة البيت نفسها السماء فوقي والشرفة عن يميني صعد السلم القديم بتثاقل وكأنني لا استطيع حراك قدمي حتى انحنيت أرفعها بيدي ولكن دون جدوى فأصبحت أمشي على (ركبتي) وأنا أشاهد أمامي ذلك الشيخ المبتسم وهو يومأ إليه للشخص النائم وكأنه ميت ومغطى بغطاء خفيف ذات لون رمادي يتقلب على جنبيه دون أن يظهر رأسه... حاولت أن أمسك قدمه كي أوقظه... صرخ من تحت الغطاء قائلا: الشيطان... ؟!.

تركته بسرعة وأنا ألهث وأردد في وجه الشيخ الصلاة بعد أقل من خمس دقائق والشيخ نائم.. فتحولت من فوري إلى جهة أخرى من البيت امشي وراء تلك القبيحة وقد أغرتني بتفاصيل جسدها الممتلئ سرت خلفها متلاصقا بها أحاول أن أولج عضوي في مُخرتها دون أن تحرك ساكنا، وعيون ذلك الصبي تتفحصني بشدة ولكنني لم أهتم ابدأ.. هي تسير وأنا أسير خلفها بوضعية أتحسس

الجنس بيني وبينها حتى ظهر أمامي الشيخان أحدهما ذلك المبتسم والأخر الذي أعرفه جيدا وهو يسألني عن الإعلام وحيثياته وأين هو ما يكتبه .. كان جوابي لا تهتم فأنني عملت لك ملفاً متكاملا من الوضع الإعلامي سأجلبه لك بأقرب وقت. وأذن الفجر وتركت فراشي وأنا في حالة يرثى لها، أخاف أن أسرد جولتي المخيفة والملتبسة وسألت الله أن يجعله خيرا.

صلاةُ الأمان

لم تكنْ طفلة شقيّة، ولا تُشبهُ الأطفالَ في هوسِ التخريبِ واصطناعِ المُشاغباتِ والحيَلِ على كِبارِ السنِّ. بل علّمَها فقدانُها المُبكِّرُ لوالدِها الانطواءَ على نفسِها، فهيَ لم ترَ من هذه الدُنيا غيرَ وجهِها البريء المُمتلئ بالحِرمان، ولم تعرفْ في الحياةِ غيرَ الوحدةِ والدموع.

كانتْ تشعرُ أنّها مرفوضةٌ حتّى من أقربِ الناس إليها.. أُمُّها كانتْ تُشعِرُها دومًا بأنّها عقبةٌ في طريقِها.. ولطالما بحثتْ بتفكيرِها المحدودِ عن سببِ نفورِ أُمِّها منها وكراهيتِها لها...

طوالَ حياتِها لم تحظَ لحظةً واحدةً بحنانِ الأُمّ! ولم تشعُرْ بحُبِّها وعطفِها. كُلُّ ما كانتْ تراه وجهًا متجهمًا، وأوامرَ صارمةً، وعبئًا ثقيلًا على الأُمِّ الشابةِ التي كانتْ تُجهّزُ نفسَها لزيجةٍ جديدةٍ.

هذا الكُرهُ كانَ تراكُماتٍ لزوجٍ ماتَ بسيطًا فقيرًا مؤمنًا بقضاءِ اللهِ (تعالى) وقدره، وقد تكونُ هذه الأمُّ الجامدةُ في مشاعرِها وغرورِها هيَ من ساعدتِ الموتَ أنْ يُسرعَ لزهقِ روحه؛ فالحياةُ الآنَ تشتملُ على حوادثِ القتلِ من أجلِ السعادةِ عادةً! وما سمعتْه من أُمٍّ ألقتْ أطفالَها الصغارَ في النهرِ ولم يرفّ لها جفنٌ، وآخر أحرقَ أطفالَه وزوجتَه وهم نيامٌ! وأخرى ذبحتْ كُلَّ أفرادِ عائلتِها من أجلِ حبيبٍ فاسقٍ! وابن يذبحُ أباه من أجلِ ورثٍ مُبكّر!

أيُّ حياةٍ هذه تلك المُمتلئة بالغدرِ والخيانةِ!

مرّتْ في خيالِها هذه الأحداثُ؛ فخافتْ على نفسِها وانطوتْ أكثر في حُجرةٍ صغيرةٍ أعلى الدار، ولكنّ الأمَّ لم تتركْها على حالِها فقد أخرجتْها من المدرسةْ وجعلتْها أشبهَ بالخادمةِ في البيتِ مع الضربِ المُبرِّح.

وما إنْ دخلتْ سِنَّ الرابعةَ عشرَةَ أو الخامسةَ عشرَةَ من عُمُرِها، حتى قامتْ بتزويرِ جنسيتِها لتزيدَ ما عاشتْه ابنتها من سنيّ عمرها إلى إحدى وعشرين سنةً، وزوّجتْها لكهلٍ كبيرٍ له أولادٌ أكبرُ منها، فكانتْ زيجتُها فرصةً لأُمِّها كي تُزيحَ العبءَ عن نفسِها..

لم تُفكِّرِ الأُمُّ للحظةٍ واحدةٍ في مصير ابنتها، وفيما ستواجِهُه في حياتها، بل كانَ تفكيرُها منحصراً بنفسِها بأنانيةٍ مُفرطة.

دخلتِ الصغيرةُ بيتَ زوجِها وهي طفلةٌ (خام) خائفةٌ من أُمِّها التي قد تقتلُها في أيةِ لحظةٍ، مرعوبةً وجِلَةً تتلفتُ يمينًا ويسارًا بحثًا عن بادرةٍ تشعرُ من خلالِها بالأمنِ والاستقرار، ولكن عبثًا كانتْ تبحث!

حياةٌ جديدةٌ، وخوفٌ جديدٌ، وقسوةٌ وعذابٌ تجرعتْهما من زوجِها الكهلِ دونَ أنْ يرحمَ سنَّها الصغيرَ وقِلةَ خبرتِها في الحياة.. دونَ أنْ يفهمَ وضعَها السابقَ وخوفَها من الغرقِ والحرقِ والذبحِ على يدِ أُمِّها..

حبسَها في البيتِ، ومنعَها من رؤيةِ الغُرباءِ والأقرباءِ وحتّى أولاده، كان حينَ يخرجُ يُغلِقُ بابَ البيتِ وراءَه ويوصِدُ النوافذَ ويُلقي عليها التعليمات: لا تفتحي، لا تتكلّمي، لا، لا...

كُلُّ حياتِها الزوجيّةِ سلسلةٌ من الأوامرِ والنواهي.

كانَ يشكُّ بها في كُلِّ شيءٍ، ويضربُها ولا يتركُها إلا وهيَ مُثخنةٌ بالجروحِ والآلام، وأصبحَ الضربُ فيما بعد هو وسيلته الوحيدة للتفاهمِ معها، فكانتْ تخشاه، وترتجفُ خوفًا حينَ يحضر، وتعلّمتِ الصمتَ ولكنّه ضاقَ بصمتِها وانطوائها، وكأنّه أشبعَ رغبتَه منها، أو كأنّها نزوةٌ عابرةٌ في حياته.. فأقدمَ على إهمالِها وجعلِها كأيّ قطعةِ أثاثٍ في البيت..

خافتْ أنْ يُطلّقَها، وترجعَ إلى أُمِّها.. فعملتْ على أنْ تكونَ زوجةً وخادمةً مطيعةً، تعرفُ حدودَ اللهِ (تعالى) في طاعتِه وإطاعةِ زوجِها، فاستغلَّ زوجُها تلكَ الطيبةَ..

هي تُصلّي، وأغلبُ أيامِها صائمةٌ، وهو يرجعُ إلى البيتِ؛ ليُكمِلَ سهرةَ نشوةٍ مُحرّمة، يملأُ البيتَ بالروائحِ الكريهةِ وبالدُخانِ الخانق. كُلُّ ذلك رضيتْ به: لئلا ترجعَ إلى عذابِ الأُمّ.

تتمنّى أنْ يشعرَ بها زوجُها يومًا، وأنْ يكونَ يومًا رؤوفًا بها ويُسعدُها، ويُنسيها سنواتِ العذابِ والقسوةِ التي عانتْها في بيتِ أُمِّها وبيته، ولكن لم تتحقّقِ الأمنيةُ، بل زادَ في الطينِ بلةً؛ إذ قامَ بإدخالِ أصدقائهِ إلى البيتِ ليتسكّعَ معهم وكانوا يبقون إلى ساعاتٍ مُتأخرةٍ من الليل.

حاولَ أحدُ أصدقائه الاعتداءَ عليها، ولكنّها كانتْ تُحصّنُ نفسَها بغلقِ الأبوابِ جيدًا، ولا تفتحها مهما علا الصُراخُ؛ فهي لا

تشعرُ بالأمانِ، وإيمانُها باللهِ (تعالى) زادَ يقينَها أنْ لا تخدمَ شاربي الخمرِ ولو كانَ الموتُ مصيرَها..

كانتْ تكتمُ الآمَها وتصبرُ على قضاءِ الله (تعالى) فيها، وهي ترجو أنْ يهديَه الله (سبحانه). وبسببِ كثرةِ الهمومِ وكبتِ المشاعرِ بدأ قلبُها يؤلمُها بشدّةٍ وهي في عزِّ شبابِها، وكأنَّ هذا الوجعَ بلاءٌ جديدٌ يمتحنُها اللهُ (تعالى) به. فصبرتْ عليه راجيةً الثواب في الآخرة، ولكنّ زوجَها لم يصبرْ وازدادَ في طُغيانه وغِلظتِه وقسوتِه؛ لأنّها لم تعُدْ كالسابقِ تُجهِّزُ له كُلَّ ما يحتاج إليه بالسُرعةِ المطلوبة، ولم تستطعْ أنْ تلبّيَ كُلَّ رغباتِه في الصحوِ وعندَ الثُمالةِ، فكانَ يتأفّفُ منها ويرجو اليومَ الذي تموتُ فيه بعدَ أنْ عرفَ أنّها تُعاني من مرضِ القلب، ليتخلّصَ منها ومن عِبئها..

كانتْ تسمعُه يدعو عليها وهي تدعو اللهَ (تعالى) أنْ يهديَه الصراطَ المستقيم، كُلٌ ذلك ولم تنطقْ بكلمةٍ واحدة؛ فقد كانتْ تعرفُ أنّ كلمةً منها ستكونُ نتيجتُها الضربَ والإهانةَ وهي لم تعُدْ في حالةٍ صحيةٍ تسمحُ لها بتحمّلِ الإهانات.

صبرتْ راضيةً بهذا الهمِّ والحِرمانِ، وهذا الوجعِ المؤلم، ولكنَّ لكُلِّ شيءٍ حدودًا وطاقةً معقولةً، فهي قد نضجتْ على الهمومِ وكبَّرتْ عقلَها وسطَ هذا الحِرمانِ الشنيع، وقويَ قلبُها بمعرفةِ الله (تعالى) والتقرُّبِ إليه في الليالي كثيرًا، فلم تعدْ تبتغي غير رضاه عليها كي تُقابلَه بهذه الأوجاع، عسى أنْ يُخفِّفَ عنها

هولَ الآخرةِ ويأخذَ حقَّها من كُلِّ الذين أشبعوا جسدَها ضربًا ونفسَها إهاناتٍ...

حضّرتْ طعامَه وكُلَّ ما يحتاجُ إليه؛ قد أزفَ وقتُ حضورِه فالساعةُ قاربتِ العاشرةَ مساءً.. انزوتْ في غُرفتِها وأوصدتِ الباب، وصلّتْ صلاةَ النجاةِ من هذا اليوم المُمتلئ بالهموم؛ فقد أوصاها أنْ تهيأ كميةً من الطعامِ، لأنّ لديه صديقًا عزيزًا سيحضرُ هذه الليلة، وعليها أنْ لا تخرجَ من الغُرفةِ مهما سمعت.

زادَ كلامُه في فضولِها فلم تنمْ، وبقيَتْ تُرهِفُ السمعَ؛ فإنّ ما تسمعُه هذه الليلةَ هو صوتٌ يُثيرُ الاستغرابَ، يُقهقِهُ باستهتار، فلم تتمالكْ نفسَها ففتحتِ البابَ ببُطءٍ شديدٍ، ونزلتْ لترى من صاحبُ هذا الصوتِ النسائي الغريب، وتفاجأتْ بأنّها امرأةٌ يبدو عليها أنّها من بناتِ الليلِ، ولكن تعرفُها حقَّ المعرفة.. إنّها أُمُّها!

بكتْ ولكنّها انتظرتْ قد تكونُ على خطأ؛ فلا يجوز لهذه الأمِّ أنْ تعملَ هذا العملَ القبيح، ولا يجوزُ لزوجِها أنْ يفعلَ فعلتَه المُحرّمةَ مع أُمِّها.. بكت ونحبت وسألتِ الله (تعالى) أنْ يُسامحَه..

ولكنّها أخذتْ قرارًا؛ فهي طوالَ حياتِها خائفةٌ وتتردّدُ من كُلِّ شيءٍ، وخسارتُها الوحيدةُ هو فقدانُ والدِها على يدِ هذه المُجرمةِ أمِّها.. فتجرّأتْ وانفجرَ في داخلِها بركانُ الغضبِ الذي كانتْ تختزنُه في أعماقِها لسنواتٍ طويلةٍ..

وقفتْ فوقَ رأسيهما وهي تشعرُ بقوّةٍ رهيبةٍ تسري في جسدِها، وهما في هيامِ النشوةِ المُحرّمة، ونزلتْ عليهما بكُلِّ ما آتاها اللهُ

(تعالى) من قوةٍ.. وبقرتْ بطنيهما بسكينٍ حادّةٍ لا تعرفُ كيف حصلتْ عليها؟.. ولا كيفَ أمسكتْ بها؟ ولا من أينَ جاءتْها الجُرأةُ لتضربَ وتطعنَ وظلّتْ تضربُهما وتطعنُهما حتى فارقا الحياة..

فتشكّلتْ عندَها صدمةٌ نفسيةٌ، وخرجتْ إلى الشارعِ لا تعرفُ ماذا تفعل؟! وكُلُّ من تُصادِفُه تقولُ له: قتلتُ أُمّي المُجرمة وزوجي الزاني.

ومن ثم ترفعُ رأسَها للسماءِ وتقول:

- يا الله، قد سقطتُ في امتحانِ الصبر..

وظلّت تُكرّرُ هذه الكلماتِ حتّى حُكِمَ عليها بمُستشفى المجانين، والمُدهِشُ في الأمرِ قالتْ للمجانين:

- أولُ مرّةٍ أشعرُ بالسعادةِ مُنذُ أنْ ماتَ أبي؛ فلم أعُدْ بحاجةٍ إلى صلاةِ الأمان.

القدر.. مرايا لا تتشابه

لم يكن من الخاسرين، فقد ورث اليأس والفقر منذ طفولته. إنه رجل يشبه السفينة التي ثقبتها الثلوج غواية الأمل في حياة مثقوبة الحق، يمشي فوق أديمها في النهار شفرةٍ، وفي الليل أحلام يستريح لتحقيقها على الورق.. إنه بطل من ورق، ارتضى الأوهام بديلاً وركب أجنحة الطموح، لا يجلس بالضرورة على كرسي الحكم ولكن يشار إليه بالتميز، كالبذور التي تترك على مساحات الخضراء من أجل هبوب الرياح لتقع في حفرة أَعْتَدَ بيد فلاح. واختبأ من عمره الزمن وضاع الوقت وهجرته الأماني بملامح اليأس حتى حكم عليه بالطرد من بقايا الأمل. أصبح كفراشة الصباح التي تهرب من وردتها عند هجوم الذباب الأزرق الذي يطير الآن في السماء محتل كل حقول النجوم وهو يدندن باسم الله.

لم يعد هناك فوز أو مستقبل، والأورام السرطانية تقطع الأنفاس وتفتح لعبة جديدة بين الشيطان والإنسان. وبقي هو يستيقظ كل صباح يفرد ذراعه على أزرار آلة ينقش عليها زهور وأحلام وطموح وأفكار، ويضيع كالمعتاد بين الأف الملفقون يعدون جنة المؤمنين وهم أصحاب النار المعرفون. بقي هكذا يضرب هواء الحجر قاسياً على رأسه يدق فيه كالعصي، لا يعرف له مفتاح ولا يعلق وجوده في مستقبل. كل الذين أمامه ليس لهم أهمية ولكنهم يحكمون، يسخرون الشجر المثمر لقتال الغابة. هل خطر على عقل أحد أنهم

نيران الشيطان في غابة البشر؟!. الكل يعرف قاتله ويأكل معه مبتسماً.

صدفة ضحك له القدر بعد أن ركلته أرجل من كل حدب وصوب، وتخيل نفسه يسير في نومه على أطراف قدميه، متجها إلى المنارة الذهبية التي تمدد نحو السماء وقريبة من الله وهناك أوقد شمعة حرقت كل ملامح اليأس الكبيرة، ونمت له أجنحة جديدة يتجول فيها بين القبب المقدسة. قام يرفرف كل صباح في الضريح واكتشف فيه الكثير من القادمين اليائسين، الذين قلعوا من جذورهم كأشجار الجميلة المغرورة بخضارها غير النافع، وضخامتها التي لا تفيد سوى النار. تمالك نفسه وصبر، وعرف.. لم تتغير الوجوه وإنما تغير المكان فقط.. القدر لا قلب له، يفتتح لعبة الحياة دون تخطيط مسبق. القدر لا تقول لنا المرايا أبدا كيف يأتي؟. هو لا يفرق بين ساعة الحب وحرقة القلوب. عندئذ تجتمع في الروح حيواناتها التي تشبه في الحجم الإخوة الأعداء، والأصدقاء الأنداد، والمعارف الدائمين للمؤامرات الذين تتردد أصداء حكاياتهم اللئيمة على البعد وتعرف بالمساجلة.

بدء يتمزق كورقة شجرة كبيرة تحت أظافر المؤمنين والقائمين على القداسة وهما متوهمان متآمران على البناء الصحيح فليس من المعقول خروف يقود إنسانا. فما عاد يلمس ألا نقاء الضريح امسك بقوة بخيط النور لا يمكن أن يفلت من يده.. فنور الضريح أصبح له وطن يشبه المركب تخلا عنه ملاحوه وانصاعوا لجني ثمار ليس

لهم، ذهبوا مع ريح لا تحسن تجفيف دموعهم الكاذبة، فهم يلعبون كاللصوص في لعب الأطفال.. كأنهم لا يدركون العسير الذي ينتظرهم. بقي وحيدا، خسر كل من حوله كي يكسب نفسه، تحمل أن يكون مثل حاكم لنفسه وهو اشقى من الشقاء المهم عنده أن لا يفلت من يده خيط نور الضريح.. فظل ملك على أحزانه، وما زال ملكا على أحزانهِ. فرّ بعيدا عن الأقنعة وأكتفي بقناع وجهه، اسكت به الصقور والنسور والدواب المشاكسة، وبعض العابرين على جناح الخوف، والمرائيين الباطلين الجديرين بالرثاء.

لا يعرف لماذا تعيده هذه الدوامة الحياتية من الصور الحية إلى نفس محطاته السابقة باختلاف ما بين خيط نور أبيض وخيط رخاء أسود....

القشة التي قصمت ظهر البعير

لم أخف يوما من شيء، ولم أفرح يوما لشيء حصلت عليه، ولم أحزن علي شيء أفقده، وأغلب أيام حياتي اترك الجمل بما حمل لغيري بكل سرور ومحبة. ولا أنظر إلى الخلف يوما ولم أعاتب أحدا، ولم أستطع أن أواجه الشخص الذي يسقط من عيني دفعة واحدة فهو لا يحتاج إلى تفكير أو انشغال القلب...

فالقلب مفتوح للحب والجمال والإنسانية، قد تكون مثالية عالية ولكن هي صفة تلازمني أينما أذهب، أخسر بها الكثير من الأشياء، وتجعلني أعيش حلم الوهم، وكوابيس تتراكم على قلبي في يقظتي ونومي، ابحر بها في ملكوت الله الواسع وابني قصور كبيرة وعظيمة على الرمال الشواطئ وهي تنثر بكرمها على كل من يجايلني، ويطلب مني ويحلم أن يحقق حلمه، حتى القاسي والظالم يشمله هذا الكرام المباح... وغالبا ما أفيق على علل من أمور أقاسيها بوجع وأتحملها بصبر ولكن لم يتوقف حلمي أبدا، ولم تغادر رومانسيتي يوما حتى وأنا في أوج النار أو في عمق البئر المظلم أو إغراقي في نهر بسيط أو بحر عميق الغور بلجته... وأتجدد بتجدد المكان والأشخاص...

كانت صحوتي الأخيرة على قول صديق لبس لا بأس من نوع خاص، ملبس لم أشاهده في كل الخمسين عاما من عمري، تعامل في وجوه متعدد تجمع بين سم الأفاعي وقسوة عجلات الدبابات،

وصفات لا حصر لها من وجه الشيطان حين يأتيك بملائكيته، ويغويك نحو الرذيلة والسقوط في هاوية الكفر دون أن يرف لك جفن أو تشعر بالخطر، ويضم لك تاريخك الذي لا يفهم منه شيئا، ولم يعرف ما أنجزته بأحلامي وأوهامي، وبقلبي وما ضحيت به من جسدي أيام كانت الأمور تشع نارا حاقدة على كل من سكن مسكن الحسين أو زاره وجاوره، كانوا يصبون الزيت المشتعل بأنواعه على أرضه ليديموا معركة الطفوف لتبقى عاشوراء تنزف بالدم، ليعصروا بضغطهم العالي ما يمكن عصره من زائريه وعاشقيه...

حينها كان حلمي صغيرا لا يتعدى سوى ساتر البيت وسطحه القريب من مكبرات الأذان الحسيني، وشارع ضيق تجتمع فيه الألوف الكربلائيين لتسوق والبيع والشراء لقوتهم اليومي، يطلق عليه (الفسحة) هذا المكان الغريب في كل أفعاله، كان يلم أشكالا لا حصر لها من الأجناس الإنسانية بمختلف صفاتها، والعجب إنها –ارتجزت– في شعبان لتسطر ملحمة شعبانيه يشار لها بالرجولة والقوة، وشاء القدر أن ينتصر الظالم مرة أخرى بطف دامياً لكربلاء، وتدون في سجلات العالم عن أعظم مجزرة عايشتها المدينة بعد مجزرة الطف الأول.. الذي بقي على قيد الحياة ركب مركب الهروب من الموت، توطن وطناً آخر وأرضاً بديلة، ولكن كل دقيقة كانت أوجاعها تسير بالدماء مسار الجزع على فقيد عزيز مات ولم يتهن ولم يحقق حلما.. وحين انتصر الصبر على الظلم

عاد من عاد إلى الأرض الطيبة ليحلموا من جديد، وأبدءوا يبحثون في جعبة البقايا من الهموم والأوجاع، ليزيلوا بتراب تهوي إليه الأجساد للتطهر من كل بقاع العالم.

كنت أبحث عن منافذ الدخول إلى قلبه وكسب صداقته بحب وهو كان يبحث عن نقاط ضعفي ليتمكن من ترويضي حسب رغباته الشيطانية.. فأول المواجهات صنعها معي هو وضعي بنصل السيف الذي يجرح من حولنا فكل جرح أساسه هو ووجه أنا ...

كأنها خيال

لم أرَ عينين ببريق لامع يخترق روحي بهذه السرعة والسهولة، شعرت بأنني صغرت وأصبحت بحجم ريشة هب عليها شعاع ساحر سحبها نحو الكائن الملائكي الذي نطق باسمي بصوت تغريدة سحرية جعلتني عاجزاً على التحكم بنفسي.. لم أتبين نفسي هل أنا في أضغاث أحلام بهذا الجمال أم هي حقيقة لا بد من مواجهتها.. ؟!.

فتحت عيني والنعاس يتملكني يشع في كل جسدي خدرا، تخيلت أنني أدخل عينيها بشكل واسع كالبحر حين يلتهم السفن، ويغرق السماء في كل نهاياته. بدأ قلبي يئن فقد كانت حقيقة مرمرية رخامية في كل تقاسيمها.. كان المكان محذورا فيه النساء، وهي تخترق هذا الحاجز بكبرياء أميرة واثقة من أمارتها تفرض قيود حضورها.. إنها شيء تشبه الصدمة في تكوينها، عاصفة كلما اقتربت كان تأثيرها جلل. حين وقفت أمامي كان الفاصل حاجزاً يمنع عني رؤية طولها بالكامل، وهي تتطلع فيّ بعد مناداة اسمي.. حاولت الهروب بعيني عنها أو كأني لا أراها.. للحظة غرق عقلي في بحر ذاكرته القديمة، لتعود إليه صورة أول عشق جنوني، وصدمة لاذعة من انكسار الكبرياء أمام حب من طرف واحد.. هي نفسها قد تكون كبرت بنفس مواصفات الجمال الذي ظل سنين طوال لا يفارق خيالي ولا مخيلتي.. وقتها حين عشقتها كانت

روحي ملهوفة للتغير وصناعة الجمال في الشكل.. كنت أراهن أمي أن أتزوج من حبيبتي ذات العيون المميزة بلونها، فلا رغبة في زواج تقليدي من الأقارب.. كنت أكره تكرار نفس النسل الحنطي والعيون السوداء..

رجعت روحي وهي تشم في فضاء مخيلتها عطرها الذي ملأ المكان بشذاها، رفعت رأسي لنلتقي وأياها على صوت واحد متعثر الكلمات.. وبقوة شخصيتها انقذتني من التيه في مكان شبه مغلق ومحضور تواجد الغرباء خاصة وانها امرأة بمواصفات ملائكية.

هززت رأسي مرحباً بها وتحذيرها من تواجدها خوفا عليها.. والحقيقة كنت أخاف ان يلقى اللوم عليّ.. فكيف سأبرهن لمن يسأل انها دخلت وحدها ولا علاقة لي بها؟.. كتمت خوفي، وتمتمت بكلام خافت.. عرفت مغزى انبهاري بها وتذمري وخوفي في آن واحد. رغم ذلك أمعنت النظر فيّ للحظات كي تزيح عني وهم الخوف والشك لأن المكان مراقب بالكاميرات.. كان الهدوء يجعل من صدى صوتها سهاماَ تمس شغافي، وشعرت إنني بحاجة إليها.. هي من استطاعة أن تلعب بقلبي وعقلي كل هذا اللعب الخافق في ثناياي.. تتحدث عن الشعر والأدب والثقافة والحضور، وأنا منبهر فقد بمحياها لا أسمع شيئاً ولا أردد حديثاً، وكلما أريد الحديث أغوص بكلمات كمن يغص بشربة ماء.. شيء أحسه بها ولا أراه.. هي تتدفق بعذوبة الحديث، وأنا أخوض معركة داخلية

لاكتشاف هذه المرأة الضاجّة بالجمال والحيوية. ففي كل تسارع لدقات القلب كان هناك تحولات وأسئلة وأمنيات وأحلام، لم أجد لها تفسيرا؟!.. ولم أجد لها جوابا شافياً؟!.

دقائق مضت على وجودها، وكانت تتكلم وتتكلم بتلقائية، وأذناي لا يسمعان سوى دقات قلبي، ومن هول ما كنت به من صدمة كاد نبضي أن يقف، وأمتلأ فضاء المكان بعطرها، وذهبت كأنها خيال..

بخلُ الأغنياء

جاءتْ وكأنها تحمل جسدها على كتفها، حتى خطواتها على سديم "قسم الإرشاد الأسري" ليس له دبيب أو أثر من الخجل والاستيحاء الواضح كلياً على محياها. الإدارة قد وضعت اختصاصيات عند المدخل، عارفات بعملهن النسوي والنفسي ومتدربات جيداً لاحتواء أي حالة مهما كانت..! فعيون المرأة تعكس الواقع، وتضفي عليه بريقاً عميقاً ما يساعد على دقة الوضوح، فالمرأة الناضجة اجتماعياً ونفسياً تتمتع بصفاء ذهني كبير مما يساعدها على تحليل الأمور وتفحصها بدقةٍ وروية وهدوء.

كانت امرأة في العقد الرابع من عمرها، ربة أسرة، ولديها خمسة أبناء، استقبلتها الإخصائية الاجتماعية بكل تفانٍ. شعرت الإخصائية بأنها سيدة متحفظة وخجولة، هيأت لها مكانا خاصا، انفردت بها لتسمع ما يجول في خاطرها من الهموم والمصاعب التي جعلتها تبحث عن مكانٍ آمن كي تسرد حكايتها عسى أن تجد حلاً لعذاباتها؛ فالتي تسعى سعيها من أجل المحافظة على أسرتها تستحق الحياة. ضآلة أن يشعر الأنسان بأنه ليس أنسانا، ولا حتى في مرتبة من مراتب الحياة، أي ولا حتى من مرتبة الحيوان.. أحيانا يرتقي الإنسان إلى درجة الملاك، نتيجة جوهر تصرفاته الإنسانية، أو ينزل إلى ابشع من تصرفات الوحشية للحيوان. وفي أغلب

الأحيان يعيش الإنسان بينهن وهو الإنسان الفعلي، الذي يرضى بنعم الله وقدره بقناعة مطلقة..

قصتها بدأت ككل القصص العنيفة التي تدل على إن صاحبها يعيش حالة ظلم ومظلومية من أقرب الأشخاص عليهم. قالت لها الإخصائية : بماذا استطيع أن أساعدك.. ؟. تحدثي عن كل ما يجول في خاطرك.. ؟ ورقتي لا تحمل سوى أسمك، وعدد أبنائك، وان زوجك ميسور الحال.

رفعت رأسها ببطء شديد وكأنها تدرس بعينيها المكان، ما زاد في أمانها: إن الإرشاد الأسري أحد منافذ العتبة الحسينية المقدسة التي ترعاها المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف. تنهدت بحسرة موجعة، تخللتها ابتسامة خجولة رغم التي أمامها امرأة مثلها. فقالت :

-الشعور بالأمان للمرأة هو كل ما تبحث عنه في حياتها، وزواجها هو المصدر الحقيقي لسعادتها. وشعور الزوجة بالأمن رغم أهمية وخطورته في حياة الزوجة التي قبلت بمصيرها مبكراً .. إلا أنها لا تملك مفتاحه، المفتاح دائماً في يد الرجل..

أحسستُ بهذا الشعور من أول أيام حياتي الزوجية، كنت في منتهى القلق، وهذا القلق كان أول أعراض انعدام الأمن بحياتي الزوجية، واستمر معي لساعة وجودي أمامك. فأصبحت قلقة أخاف أن أفقد زوجي. فأنا ليست من الزوجات اللواتي يحيط ازواجهن بسياج رهيب من الشك والمراقبة والمحاسبة والتذمر،

والتمارض وغيرهن من أسباب تشعل غيرة الرجل وتجعله لا يرى أمامه سوى شبح زوجته وكيف يروضها ليرضيها.. اسمع كثيراً من النساء يعملن ابشع من ذلك في أزواجهن.. ؟! ولكنني أنا أختلف بحكم تربيتي الاجتماعية والدينية والسلوكية.. فقد علمتني أمي على سلوك احترام رب العمل، وهذبني أبي على أن أكون مطيعة لمن لا يهين كرامتي أو يتصرف معي بخيانة؟. لكن الخوف يرافق حياتي الزوجية في كل دقيقة، وساعة، ويوم، وسنة..

دخلت حرب الصبر على تغيير وضعي ووضع زوجي معي، فبخله يتفاقم، وسوء حالة البيت تزداد بشاعة.. كل من يزورنا لا يرغب بالعودة إلينا لأسباب كثيرة منها معروفة للجميع. فمن أجل ازالة الخوف من الرجوع لبيت أهلي.. فكرت بالإنجاب بأسرع وقت ممكن.. كان كل اعتقادي لإزالة الخوف والقلق والبخل المخيف من زوجي، هو انجاب له طفل ليكون خير ضمان لاستمرار حياتي بلا قلق وخوف، وسيفتح لي خاصته وأملك مفتاح قلبه وخزانة أمواله، وأخرجه من عالم البخل المقيت، وأظل معه حتى الممات. فالولد هو القيد الحديدي الذي يكبل الزوج لأسرته إلى الأبد. ولكن ما حصل هو العكس تماماً. أنجبت خمسة أولاد، ولم استطع تغييره.. رجل ملكني كجارية، لا يجد فيّ سوى زوجة سرير فقط وهذه الحقيقة صدقوني. رغم أنني أعطيته كل ما يريده الزوج من زوجته؛ وهو أعطاني الهجر في آحايين كثيرة، وجعل البيت الممتلئ بشموع أبنائه، فندقاً وبنكاً لجمع الأموال. لا أنكر أن

عملية التفاهم المتبادلة أصبحت شاقة بيني وبينه، لأنها بنيت على الرضا بالمقسوم لي، أن أتزوج شخصاً بخيلاً، وقبولي بصعوبة التحدي إلى تغييره اسرياً واجتماعياً وفشلت؟!، وأعلنت فشلي أمام أهلي أولاً، والآن أمامك قد يكون أسلوبي غير مجدٍ أو مقنع لشخص مثل زوجي.. واعترف أنني وطيلة سنوات زواجي قد ضحيت كإنسانة تعرف طريق الشرع، وتحترم القيم الزوجية والاجتماعية، وأن أكون زوجة واعية نحو زوجي وبيتي.. لذا أيقنت وآمنت بان الزوجة لن تفوز بالشعور بالأمان عند إنجابها الأولاد فهي في خطر دائم، وأسرتها بخطر من هكذا رجال لا يرون إلا انفسهم، وزوجي خاصة لا يرى نفسه من شدة البخل..!.

بعد كل هذا العمر وجدُت إن اصعب قرار تتخذه المرأة في حياتها؛ قرار الزواج بشخص لم تعرفه ولم تحبه وترضى أن تعيش معه. إن حياتي أصبحت تخيفني كلما تقدّم العمر بي.. أولادي يكبرون أمام عيني، وبدأوا يفهمون وضع أبيهم البخيل إلى حد مكشوف جداً للجميع رغم كل ما يملكه من أموال وعقارات. أصبحت أعيش في هذا العذاب الدائم، وكل من ينظر إلي أو يحدثني أتصور أنه يعرف حكاية أسرتي وزوجي الغارق في البخل؛ فأنا ليس ليّ ذنب فيها، فهذا نصيبي وعليّ أن أعيشه.. وما يزعجني أن أرى زوجتي وخيمتي التي لا بديل لها سوى الله تعالى، كل يوم يزداد ثروة وبخلاً. وأولادي يهربون من الأقرباء والجيران والأصدقاء وبدأوا يعتكفون في البيت خجلاً من أي كلام أو نظرة،

حتى الابتسام هجرهم وأخذوا يتحسسون من كل من يبتسم لهم.. أنا اغرق في عالمي الحقيقة والوهم بين الصدق والكذب، وأمور أسرية واجتماعية من المخجل أن اطرحها في كل مكان. لكن لجوئي إليكم كان بحثاً عن حل ينقذني أسرتي من الغرق والتفكك.

هنا نظرت الإخصائية لها بنظرة متفحصة، وجدت أن المرأة واعية لحياتها، ولكن لم تحسن التصرف خوفاً من شيء مجهول.. وهذا الشيء قد يكون الحاجة التي تفتقدها كل أنثى، أو مشاكل فقر وعوز عند الأهل، أو السّعي إلى الخروج من حياة العزوبية ووحدتها القاتلة التي تعرفها أغلب النساء..

هذه السيدة مختلفة تماماً، فهي ليست من النساء اللواتي يحطن أزواجهن بسياج رهيب من المطاليب والشك، أو تراقب يقظته ونومه في كل تحركاته وسكناته.. بل تحملت سلوك زوجها بعذابٍ وشقاءٍ، وصبرٍ حتى طفح بها الكيل لتبحث عن حل تحافظ به على ما تبقى من الحياة الزوجية..! تبحث عن حل لخروج زوجها من دوامة جمع المال وخزنه وحرمان أسرته من نعم الله تعالى...

نطقت بهدوءٍ كيس وناعم الأخصائية كأنها تهمس همساً رقيقاً لإنسانة لم تتغير ولم تغير من حياتها شيئاً:

- لِمَ لم تحاولِ البحث عن السبب الرئيسي وراء بخل زوجك.. المدمن بالبخل.. ؟. لماذا لا تبحثي عن ماضيه عند أهلِهِ.. ؟ أكيد ستعرفين من أرحامهِ، والمقربين منه ليسهل إيجاد حل مناسب.

لم ترد عن سؤال الإخصائية، بصورة مباشرة بل اطرقت برأسها كأنه يهوي إلى حجرها ومن ثم رفعته بشكل بطيء جداً لتقول:

- منذ أول يوم من زواجي لم اشعر أنني زوجته. ولكن حاولت أن أكون زوجة صالحة كما ربياني والدي. فنعمة الدين والعقيدة والمذهب كانا يلازمان ويسكنان في روحي وشخصيتي وتصرفي.. فلم أشعره إنني أتذمر من بخله أو تركه للبيت من الصباح حتى المساء، فالبيت لدى زوجي عبارة عن فندق وبنك. فضيلته الوحيدة كان يؤمن بأنني لن أخونه في عرضه وماله.

لم تستسلم الإخصائية من فتح قريحة الألم فيها، رغم أن ورقة متابعة الحالة التي نظمتها من خلال الحديث كانت ممتلئة، بأغلب ما تصرفت به المرأة مع زوجها.. فهي لم تنجح بأخذه للتسوق ولم تنعته بالبخل يوماً ولم تتشاجر معه أو تسخر منه.. ولم تقصر في تربية أولاده، وترتيبهم في الأناقة والنظافة والدراسة وتعليمهم علوم وفقه الشريعة المحمدية.. بقي هذا الزوج البخيل يعتمد على زوجته في بناء أسرته من مساعدة أهلها اليسيرة ولكنها حولتها إلى الكثير بصبرها..

هنا وجهت الإخصائية سؤالاً مباشراً لها كمواجهة للاستفزاز ها وإخراج ما بداخلها، وما لم تتحدث به بصورة حقيقية :

• لماذا رضيتِ بمساعدة أهلك؟ لماذا فتحت باب المساعدة وأنت تعلمين ببخلهِ؟.. إذن أنت كنت تساعدينه على البخل دون أن تشعري.؟!

أجابت بسرعة وكأن عصبية ظهرت على محياها فجأة، لم تتمالك نفسها:

- من أجل أولادي أن لا يشعروا بالعوز أمام الأخرين، لم أكن اقل له عن أهلي أي شيء هو كان يعرف بطريقته الخاصة. وقد قلت له عدة مرات إن أمي وأبي حالتهم فقيرة وقد توقفوا عن مساعدتي.. لم يهتم كثيراً، ولم يغير من تصرفه البخيل، نأكل بقايا طعام يجلبه معه وغالباً من يأخذ (قدور البيت) يضعها في سيارته ليستعد لأية – توزيعة- طعام بثواب الإمام الحسين(عليه السلام) أو الأئمة -عليهم السلام- في الشارع. وهذا افخر طعام نأكله طيلة السنة. فمحرم الحرام حتى أربعين الإمام، رحمة لأسرتي.. ولا أزيد على ذلك فالعاقل يفهمْ ما يفعله البخل بالبخيل، ومن حوله ومن يعيشون معه!..

وبعد هذا التهيج النفسي الذي خلقته الاختصاصية ساد صمت للحظات ومن ثم استرسلت في حديثها:

- هجرت العالم خلف بيت أمي وأبي، وتفرغت لزوجي لإسعاده، لإعطائه كل ما أملك. والمرأة تملك الكثير وبقيت أنتظر التغيير بصبر أيوب. غير إنني لا أشبه أحدا في تعاملي معه، لي أساليب وطرق في المحافظة عليه كزوج وأب لأولادي. فالرجل يشعر بالخوف من فقدان المال والعمل، أما أنا فخوفي معلن أساساً هو البقاء في بيته زوجة. لذلك تجرعت مرارتي بصمت وشربت كأس شقائي. أنا زوجة ولا أريد أن أخسره. لذا حاولت أن اشرح

وجهة نظري لكم دون أن يسمعني أحد. وعندما أحاول أن أدافع عن نفسي وأتحدث مثلما اتحدت معك الآن، غالباً ما كان لزوجي لغة يهددني بها بالطرد إن فتحت ملف البخل والمال والحاجة والبيت. وتصورت نفسي مطلقة مشردة .. وأسال نفسي اذا طلقني أين اذهب. العودة إلى بيت أهلي، وتفكيك أواصر أسرتي.. لا أتحمل كأس البخل المرّ على هجر أولادي. ولا انكر رغم كل هذه الجروح حاولت معه مرة أخرى. وكان رده جملة واحدة لا زال طنينها يدوي في إذني إلى هذا اليوم : أنا رجل بالرغم من الكل.. هكذا خلقني الله ومن لم يردّ طبعي .. الباب يسع جَمّلاً.

• هل حاولتِ بالتحدث معه، عن حاجة البيت للإنفاق المادي؟ وما أهمية واجبات رجل البيت.. ؟

- نعم حاولت افهمه إن قيمة الرجل في حرصه على البيت. وأعترف بانني خائفة منه، وأشعر بنفس الوقت بخوفهِ، وهو حال كل الرجال يخافون، ولكن يتهربون من المواجهة.. أتهمه بالبخل أحياناً وأعتبر هذا انتصارا، حين يرد عليّ : أنا رجل مستور هذا هو المهم، أما أن احقد على من يملك اكثر مني فهذا هو الغباء.. ويتعكز على مثل يطلقه على نفسه دائماً " رحم الله رجلاً عرف قدر نفسه" ولا يعلم أو يعلم انه في هذا المثل مثلبة على شخصيته البخيلة.

• هل خرجت معه يوماً الى السوق ؟.. كيف كان يرى الأسعار والسوق ؟ .

- ماذا تريدين أن أقول لك .. زوجي ابن سوق وتاجر يعرف الناس جميعها واغلبهم يعرفونه لذلك كان يتجنب أن أخرج معه.. والأسعار هو سيدها يعرف كل شاردة وواردة حول المواد الغذائية.. في هذه الأمور زوجي لم يغامر أن أخرج معه.. فعندما أطلب الخروج إلى السوق معه، يصبح شخصاً قاسياً إلى حد الخوف منه والخوف عليه.

حسمت الإخصائية الأمر وعرفت إن المرأة تريد أن تصل إلى نتيجة، كيف تغير زوجها نحن الكرم والدين، والشهامة، والغيرة على أسرته وأهله والفقراء من حوله. تريد أن تصنع منه رجلا آخر غير الذي تعرفه فسفينة الحياة لم تتوقف بعد والعمر لا زال به بقية.. ولأنه زوجها جاءت من أجل التغيير النفسي والاجتماعي وكأنها ترمي الحصى في الظلمات إن صابت فهي قد نجحت وان خابت فهي لا تخسر شيئاً وتستمر في حياتها صابرة محتسبة.

ومن خلال التدوينات ورسم حركات المرأة عرفت الإخصائية لا نتيجة واضحة رغم تطابقت الآراء.. رأي الإخصائية، ورأي المرأة الصابرة ..

فكان القرار المخفي في انفسهن أن تستمر بصبرها وتربية أولادها فظل زوجا بخيلا الآن خير من تحطيم كيان الأسرة.. واتفقا أن يكون الدعاء هو الدواء الشافي لعدول الزوج عن مرض البخل.

لكن الإخصائية لكونها باحرة بالتجربة في عالم الثقافة النفسية والاجتماعية، حاولت أن تجعل من الحالة عمومية مفيدة يستفيد

منها كل من يمرّ مثل هكذا ظروف.. فلخصت لقاءها بأمور توعوية أسرية، وجعلت منه درسا للأسرة التي فيها زوجان أحدهما بخيل زوجاً كان أم زوجة. ومن تجربتها العملية في قسم الإرشاد الأسري للعتبة الحسينية المقدسة، وجدت إن كل النعوت والسمات التي اتسمت بها شخصية المرأة العراقية، إن هناك مجموعة من السمات مهمة اتصفت بها النساء العراقيات على وجه الخصوص على مدى طويل في ربط أزواجهن برباط الأنجاب واغلبهن لم ينجحن، وما ساعد على ذلك التغيير السريع بل المفرط في السرعة أحيانا، الزواج والطلاق دون رادع خاصة بعد تحرر البلاد من جحوف التسلط المميت ما بعد 2003. وما اثبته ورقة الإخصائية إن المرأة بارزة في إيمانها العميق والمتغلغل بخواص العقيدة والمذهب ومزايا إيمانية أخرى. والاعتماد على النفس صفة من الصفات التي تتميز بها المرأة، رغم إن شخصيتها كزوجة وأم لم تكن ثابتة تماماً، بل إنها مرت بتغيرات كبرى في بعض المجالات وقد تمر مستقبلا بمزيد من المتغيرات فيما اذا التزمت بما يقدمه الإرشاد الأسري من خصوصية خاصة في إعادة البناء الأسري بشكله الدائم والآمن.

ولعل ما تابعناه في حالة الزوجة وزوجها الميسور البخيل تغير أصاب المرأة وبعث بها القلق في الاجتهاد والاقتصاد في الإنفاق وقبول كل عيوب الزوج من اجل الأولاد والمحافظة على الكيان الأسري من التفكك. ولكن هذه العراقية شعرت بعد أن نضج

أولادها بالخسارة الفادحة التي حلت بها، وإرادة أن تستمر في المحافظة على أسرتها رغم قلقها وفقدان الثقة بنفسها في السنوات الأخيرة. ما شجعها إن هناك مراجع دين عظام ذوي رحمة الهية سخروا طاقاتهم العلمية والدينية للمرأة المسلمة وغيرها مع وضع ابسط السبل الحياتية لمعالجة المشاكل التي تعاني منها المرأة داخل اسرتها وإنقاذها بحلول في احلك الظروف..

فكانت نتيجة اللقاء نقاطا إرشادية كتبتها الإخصائية لتجعلها منفذا إصلاحيا عسى أن يحقق المراد مع التضرع بالعودة إلى طبيعة الإنسان الاعتيادية..

وقبل أن تفترق المرأة عن مرآتها في التوعية وشعرت برضا وخوف في آن واحد.. بعد رفضها دعوة زوجها للتحدث معه لحساسية مشاعره قدمت الإخصائية في ختام جلستها هذه النصائح التي ستكون في المستقبل القريب دراسة تعالج القيم النفسية الاجتماعية في كيفية تعامل الزوجة مع زوجها البخيل. فكتبت على لائحتها لمن تعاني من بخل زوجها عليها اتباع هذه الإرشادات :

1- ابحثِي عن السبب الرئيسي وراء بخل الزوج وحاولي إيجاد حل أو طريقة للتعامل معه.

2- بيني له ان المال ليس سوى وسيلة للرفاه وان الشيء الأهم الذي تطلبه هو الأنفاق عليها وعلى أولادها لكي يشعروا بالسعادة.

3- لا تتذمري من بخله ولا تشعريه باشمئزاز من بخله بل تحدثي عن كرمه واثني عليه أمام الناس لكي تشجعيه على الابتعاد عن البخل.

4- قومي بالتحدث معه بين الحين والأخر عن ان الأنفاق المادي هو من واجبات الرجل واحرصي دائما على ان تقدري له تعبه وأنفاقه وأشعريه بانك تتعاونين معه .

5- لا تشتكي منه او تشاجري او تسخري منه بل اثني عليه وتحدثني عن عطائه أمام الناس حتى يسعى الى الحفاظ على هذه الصورة.

6- لا تصفيه بالبخل عندما تتحدثين معه ولكن بالحرص الزائد مثلا.

7- اخرجي معه الى السوق ودعيه يرى الأسعار لكي يحكم بنفسه على غلاء المعيشة وأنت لا تبذرين أمواله.

8- كوني كريمة عليه وعلى أولادك لكي تشعريه ببخله وعوديه مع الوقت ان يصبح مثلك لأنك بما انه زوجته فسوف يتعلم منك الكثير.

9- ان الزوجة الصالحة هي التي تتحمل الزوج فعليك بالصبر والدعاء له فانه لابد من ان يحدث تغير في يوما ما وتذكري ان المال الذي يذخره في النهاية يكون لك ولأطفالك.

كنت هناك عند باب الأموات

رأيته يقيناً بابا خشبيا مهيباً، وصحراء شاسعة فيما وراءه، وبوابة استقبال على نمط غرف التفتيش في الدوائر الدولة. وكان كل من حولي يبكون، ويتساءلون عما اذا كنت اسمع وهم ينظرون إلى وجهي المحروق؟. وكل من يضع يده عليّ ويهز كتفي كنت أحس به وعقلي يذهب إليه، وأرى كشريط سيمائي أيامي معه. والغريب رجعتُ طفلا أرى نفسي بوضوح. كيف فتحت عيناي بالكامل وأنا حديث الولادة؟.. أتفحص بنظراتي في صمت أمي وهي تبتسم ابتسامة خفيفة متجمدة على شفتيها، وأرى بعض النسوة يظهرن مشاعر مزيفة لا افهم سببها وبعضهن بولادتي جرحت قلوبهن جرحا عميقا. وحين بلغت أربعين يوماً أرادت أمي أخذي الى حمام النساء. رأيت بوضوح بعيني هاتين الحمام وهو ممتلئ بالأجساد، وهن يعترضن على دخول وليد بحجم الكف الى هذا المكان الخاص، وبين ضحكهن يمضين في التفسير العلمي لعين الطفل في محاولة لإقناع انفسهن ان الطفل يرى عورتهن، فيبدأن بثرثرة من الحمية الدرامية متواصلات الى قناعة ان حديث الولادة وان فتح عينيه لا يرى غير الملائكة وليس بوسعه ان يرى كل شيء بوضوح تام.. سلسلة حياة ماضية تمضي بي، أراها بوضوح وأتذكر كل ما فيها.. فكل شخص من الأصدقاء المقرّبين ليّ أو من أفراد العائلة كانت لي معه قصة او حدث مهم كنت أراه وأتذكر كل تفاصيله كما

كانت. كنت افرح لأن البراءة الطفولية تعيد زمنها وهم يتفحصونني بنظراتهم في صمت بحزن خفيف متجمد على جبائهم وشفاههم التي ترتجف لما أنا فيه من تفحيم للجسد، وقلبي لايزال ينبض. ولأسباب مختلفة لم استطع ان أفهم ما في قلوبهم من مشاعر، لان مخاوفهم كانت بلا أساس، ولم تكن لديّ الاستطاعة والقدرة في معرفة ما يضمرون وحتى لو عرفت، ماذا استطيع أن أفعل وروحي في سقف الحائط تنظر اليهم وجسدي على السرير محترق... ؟.

ربما رجوعي إلى طفولتي وتذكري يوم مولدي بهذا الوضوح كان أساسه ذكريات سمعتها في وقت ما فحفظها عقلي الباطن، وربما مجرد تخيلات وأضغاث أحلام. ولكن كنت واثقا أني أرى المشاهد حقيقية بعيني هاتين. كانت تزداد مشاهدي حين يأخذونني الى حمام خاص ليسلخوا لحم جسمي المحروق.. كان ذلك الحوض الذي غسلت فيه أول مرة بحمام النساء، يبدو حوضا مصنوع من الطابوق القديم.. وسطه أملس وفوقه قبة من زجاج يدخل منها شعاع الشمس لتكون بقعة ضوئية على جسمي الغض، وكان الحوض الصغير دائري الشكل يلمع في تلك البقعة. وحين تصب أمي الماء على جسدي بطاسة من -فافون- تتدلى أطراف ألسنة من الماء وكأنها تلعق بقعة الضوء، لذا كنت لا أشعر بحوض السلخ بل كنت أرى موجات كبيرة وصغيرة تتضارب وتتلاقى رؤوسها على الأماكن المحروقة. وكل سلخة تنتفض روحي وتنطلق لتقف عند بوابة الخشب واطرق عليها بشدة.. هم يسلخون

بقوة، وطرقي للباب يزاد عنفا.. لكن الباب لا تفتح فتتسلق روحي عاليا لترى صحراء ممتلئة بأشخاص لا يعدون ولا يحصون.. دققت النظر رأيت أبي يلوح لي كي أسمعه وهو يقرأ أخر قصيدة قبل أن يرحل. فما أثار في مشهد رؤياي استدعاء أبي لي لوجود أمل في عبور الباب بسهولة.. وساءت حالتي بمشهد أبي، وروحي أنتقل بها عبر فضاء حمام السلخ والباب الخشبي الذي لم يفتح لأنظم الى أبي.. كم اشتقت أن أسمع مقاطع من شعرهِ، وأن أعترف له بأنني ورثت عنه الشعر التوثيقي الذي يوثق الراحلين.. تمكنت في لحظة ان أشقّ طريقي نحو البوابة وسط وداعٍ حار من كانوا حولي من الأصدقاء والأقرباء، توقف قلبي وفرحت روحي لقلة الألم في جسدي.. فقد مات الجسد مع القلب هممت في الدخول ألا أن طبيباً حريصا على بقائي أتعذب أعاد نبض قلبي من جديد.. فوجد روحي مرة أخرى محبوسة في سقف الغرفة ترى تعاني من أوجاعي بهدوء فقد زال الألم ببط وسكنت روحي من جديد في جسدي.. اسمع كل حديث ولا استطيع ان افتح عيني أو أتكلم أي كلام...

وأنا منكمش من الضوء الذي كان يملأ عيني من خلال زجاج الوقاية، جاءتني قشعريرة تشبه الحمى وصداع رأس. كان الجميع لهم عيون ضخمة.. لم ار مثلها في حياتي وهم يتسألون لحظة فتح عيناي: هل أنت بخير؟.. لقد رجعت للحياة بسهولة..

مصباحي لا يكف عن الاحتضار

أتخيل المعنى جسدا يولد من جسد المعنى، قوته هي غالبا السبيل الى رَفّه الحياة والثراء، وضعفه ان أعطى شمعة يستضئ بها ان يطفئها ويمشي معتمدا على غيره، ويحيا في الشكل والمظهر.. بهذه الكلمات كانت تصوغ لنفسها طريقا مثاليا، مؤمنة بان الخيال يوازي العقل، والنساء الفاقدات للخيال يبكين كالاطفال في عمق وهدوء، وحين يضحكن، يبدو ضحكهن ترنيمة مرحلة لحياة حزينه، يبتهجن بالوهم والزبد، يشبهن عميانا بلا دليل، ولا يعلمن عن الحياة سوى انهن لابد ان يموتن... وكررت لابد من الموت ولكن انى يشاء الله...

بين الحزن والهدوء كشفت عن وجه للتاكد من فلذت كبدها الذي ضحت كثيرا حتى يلقب بالمهندس محمد.. يا الهي انه مبتسم كأن جدثه حيانا... نظرت حولها وارتفع صوتها: اخرجوا اريد ان اتحدث مع ولدي الحديث الاخير.. تأكدت من غلق الباب.. نظرت اليه، ولدي من اين، الى اين.. ؟ لا تحية ولا حداد ... حبيبي "انا " ضائعة، مريضة بالصبر، من ذلك النوع الذي تغذية منه من امهات الصبر، (بنت ابيها، وجبل الصبر)، والدماء الزاكيات التي نزفت على ارض كربلاء الصبر والعشق الالهي، كل العاشقين يستمرون على الولاية الى اجل طويل، ويموتون موت هادئ، اما على مشانق الوطن او بطلقات البنادق...

"محمد" كل شيء تبدد في التيه والضلال : الاحلام والاحزان، وانت قررت ان تخدم عدو السعادة، تخدم العقل، وتتشدق بفلسفتك : ان العالم فتته الفكر، والمكان والازمان...

محمد مانسجت وما ابدعت، ليس الا دالة اوهام لا نهاية...

- امي الحبيبة : محاولاتي تمت على قدر طاقتي وايماني، وانا بريء من كل الامال، واخوتي لبوا النداء، وكنت انا القربان ليقفوا ثابتين على الارض... انا أحني راسي لك، يا امي .. وعني أصلي لك، يا ايتها الصابرة ..! اغفري لي، ان رحلت عنك مشنوقا باسم "الولاية" التي ما من شيء يعدل في قوة يقينها، الم تعلمينا الثبات عليها بدعائك، (اللهم ثبتنا على الولاية).. انكون او لا نكون... كان هذا هو سؤالهم كي اعيش : اانت من نسل "علي" – سب "علي"، كان عليّ ان احجم سؤاله، ولم أحن راسي، وجعلته ومن معه ينظرون الى اسفل كما ينظرون في اعماق العدم، حيث اطلقت العنان لصوتي)ناد عليا مظهر العجائب تجده عونا لك في النوائب، كل غم وهم سينجلي بولايتك يا علي .. بمحبتك يا علي)..

كلماتي اغضبت احدهم، ورغم الحبل حول عنقي لم يصبر فاطلق طلقاته نحو راسي وقلبي، اما الاخر نفذ شنقي بعد قتلي، واخر نفس كان لمولاي "علي"... اتعرفين ماذا حصل وانا اهوى على الارض بدمائي .. ان قاتلي .. قتل على جثتي حين سقطت من سقف المبنى زجاجة كبيرة وسميكة كانت تغلف السقف هوت على

رقبة قاتلي فقلعت راسه عن جسده وتتحرج الراس فستقر فوق جسدي، والخوف شمل الجميع ففروا وتركوني وحيدا مع راس صاحبهم.. ايكون ايماني "بعلي"اميرا هو الذي صاح بهم تلكم الصيحة..!!؟ عزي نفسك يا امي فالذين يحصلون ويتاملون ذلك سعداء، وساكون اسعد حالا هنك.. ؟

حبيبتي اتريدين مني اختصر عذاب فراقك، افرحي بما لديك واستمري بحياتك بلا خوف او قلق، الحكمة في ان ينسى المرء رغائبه، انا هكذا انقضى عمري الذي قدر لي على هذه الأرض، أما إخوتي فهم مفخرة لك فقد اقضوا مضاجع أعداء السعادة، وهم مصابيح لا تكف عن الاحتضار.

دموع الفرح

اجزم الأطباء ان لا علاج لها ستبقى عمياء طوال حياتها، لقد يبست مقلتاها فلم تعد تشع كالسابق بعد ان كانت تتباهى بالعيون العسلية التي لا تضاهيها في مدينتها عيون.. تلك العيون التي كانت تفوز بالمسابقات السنوية، وهي تتبختر بين قريناتها من الفتيات .. والان جليسة الدار عمياء تتنقل بين عيادات الأطباء، دون نتائج او وصول الى أمل في ان تعيد بصرها مرة اخرى وأخذت تراجع نفسها بعد ان تخلى عنها الجميع.. ورغم كل هذه الخسارة وهذا الحزن لم تستطع ان تنزل دمعة من عينيها ولا تتأثر بأي عاطفة، ولا تجيد البكاء مهما حاولت بعد ان كانت تصب عينيها دموع الفرح وهي تعتلي منصات الجمال...

استسلمت لوضعها وتشكلت لديها عقد الانفراد أصبحت لا تطيق سماع احد... لذلك اعتزلت في وحدة دامت سنيين، لم تسمع سوى صوت امها التي تواسي وحدتها ... وفي ذات مساء خميسي تتوهج فيه مناسبة تحيط بدارها لم تألفها سابقا ولم تسمع بهذا الحديث ابداً. تبدأ مكبرات الصوت ب(الله اكبر) وبالصلاة على محمد وال محمد، وأخذت مشاعرها تتجه صوب المكبرات وهي تروي أحاديث وروايات عن (ال محمد) وأخذها الفضول في معرفة ماذا يحصل في منطقتها لم تعد هناك مهرجانات ومسابقات في اختيار الجمال في الجسد والشكل والعيون .. وعلى غرار الايام

التي لم تر عيونها النور دخلت الام كعادتها اليومية تجلب لها ما تريد من مستلزمات الزاد لكي تعيش، وهي المنهارة في الجسد والروح ومحطمة بشكل لا يحسد عليه .. ما ان القت الام تحيتها حتى جاء صوت ابنتها المقطع بالرد بالمثل .. وهي تسألها عما يحصل في مدينتهم من متغيرات .

فكان جواب الام بحسرة انهم يغزون المناطق ويقال انهم عرب مسلمون من شيعة (ال محمد) يستذكرون في كل عام رجلا اسمه الحسين بن علي قد قتل على يد الظالمين منذ اكثر من الف وأربعمائة سنة او يزيد ... وجموع من العرب المسلمين ومن استسلم على ايديهم من ابناء منطقتنا حولوا قاعة المسابقات الى حسينية (فاطمة البتول) يسعى اليها الناس من كل حدب وصوب للمشاركة في مصابها بولدها الحسين المقتول ظلما .

-امي سمعت كل أحاديثهم الشجية وروحي تلتهب كل يوم بسماع مصيبة رجل قتل مع أبنائه ببشاعة وهو يؤمن بعقيدة ارسلها الله على قلب جده محمد رسول الله .. سأذهب لطبيبي يوم غد عسى ان يجد لي حلا ويعيد النور لبصري .

وذهبت الى طبيبها وكان نفس الجواب لا يرجع بصرك الا بالبكاء وهذه اضعف الاحتمالات وكانت في عيادة الطبيب امرأة جاءت بطفلتها التي تعاني قصر نظر ... نظرت الى الفتاة وقالت: سبحان الذي يعطي الجمال لمن يشاء ويأخذ اعز الاشياء ممن يشاء .. ايتها الفتاة ان علاجك هو البكاء كما قال لك الطبيب ... انني

ادعوك الى مجلس حسيني في بيتي ... فأن شاء الله ستكون الزهراء عليها السلام حاضرة في مجلس ولدها المذبوح وسيكون سببا لشفائك .. الفتاة كان لديها هذا الشعور الغريب الذي يزورها في روحها كلما تسمع صوت الحسين عليه السلام وهي عمياء ترقد في جب الظلمة .. جاءتها المرأة بنفسها الى بيتها لكي تصحبها الى مجلس العزاء.. وقد طلبت منها ان تكمل ايمانها وان تقول (اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمد رسول الله) فأجابتها الفتاة لقد قلت ذلك منذ اول مجلس تسمعه اذني في ظلمتي .. وما ان بدأ المجلس ارتعش بدنها خوفا ورعبا والداعية تنعى(الحسين) ومصيبته ... فأغرقت عيونها بمدرار من الدموع مصحوبا بنحيب يخرج من القلب والروح، وما ان فتحت عينيها حتى رجع اليها بصرها وكأن عيونها فيها شيئا من الكحل .. فعلت أصوات النساء بالصلاة على محمد وال محمد وأخريات لبيك يا حسين لبيك يا حسين...

الكرامات الإلهية

عثرت ذاكرتي بيقين على حفريّات لصرخة ترجع إلى عصور ما قبل التّفكير، وهي ترسم تحديا لامية العصر من التكفيريين والإرهابيين.. وأنا اشد عزمي للسير باتجاه سيد الشهداء في اربعينيته الخالدة... ومعي جوهرتي الثمينة طفلتي التي شفيت تماما من جميع أمراضها وعاهاتها، وهي تصرخ بأعلى صوتها يا(حسين).

كان الشك يملأ قلبي وعقلي.. كنت ذا قوة وجبروت وسطوة، اكره كل من له عقيدة بأهل البيت النبوة، وهي عقيدة الكره الذي انتمي إليها... ولكن الخوف بداخلي دائم، يصدر مني بقسوة وشدة وعناد وغلو في تكفير الموالين.

كنت إنسانا جاحدا وحقودا وشديد التطرف لكوني نشأت وسط جنون الكره للإمام علي وأولاده وخاصة الإمام الحسين، وانعت وأعارض كل شخص يحاول أن يشرح لي ما معنى (الحسين) لأصب عليه لعناتي، وحاربت بوحشية كل من يقيم النواح والبكاء على الحسين، خاصة جارتي العلوية التي تزعجني كل سنة بإقامتها مجالس العزاء من محرم حتى مسيرة ألأربعين الكبرى.. كنت أمارس أشنع الطرق في إزعاجها، والتقليل من قيمة عزائها... رغم كل ذلك أجدها صابرة غير مهتمة وتقيم العزاء بكل إكبار وعظمة...

وكان تعنيفي مستمرا بوجه كل من يدخل مجلسها، وصل الأمر إلى الشتم العلني وأنا أشيع أقوالي النارية بصوت عال :

- لماذا تذهبون للمجلس هذه الكاذبة؟ ومن هو الشخص الذي تبكونه وتتوسلون به لنيل سعادة الدنيا وثواب الآخرة ؟ لن يفعل لكم شيئا

عجبا العلوية لا تجيب ولا تتراجع والموالون يتزايدون في بيتها كلما اقتربت أربعينية الحسين.

وذات مساء كنت واقفا بباب داري اشتم زوار الحسين .. حتى صرخت زوجتي تعلن تفاقم مرض طفلتي رغم عوقها المستديم، فهي (خرساء وكسيحة).

ما أن سمعت العلوية بمرض ابنتي أرسلت بطلب زوجتي وابنتي للحضور إلى مجلس الحسين ... رفضت بشدة صارخا: ماذا سيصنع بها حسينيكم؟

وفي لحظات تعصبي، وتمردي... ذهلت بخروج العلوية أمامي، وهذه المرة الأولى التي تقع عيني عليها، وهي كتلة من السواد فقالت:

-أحضر ابنتك إلى المجلس، وإن شاء الله ببركة الإمام الحسين ستشفى.

استغربت الأمر وكان حبي لطفلتي يفوق التصور وشعرت بالتحدي، فقبلت بخضوع عجيب، ونسيت عنادي، وبصري شاخصا بين العلوية وابنتي ... طفلتي التي صرفت عليها أمولا

طائلة للعلاج، وغلقت أمامها أبواب الشفاء وهي بانتظار الموت ليرحمها.. بدأت ابكي في سري وطلبت من الله تعالى أن يساعدها مهما كانت المسببات.

أخذت العلوية الطفلة ودهنت جسدها (بدهن) زاد الحسين، ومن ثم فتحت القدر، وهي ممسكـــة بالطفلـــة موجهة جسمها الممسوح (بالدهن) إلى البخـــار القدر وبدأ يذوب والطفلة أغمضت عينيها تماما وكأنها ميتة.. والجميع أبصارهم محدقة نحو العلوية شقت الانبهار والصمت حين لفتها براية الإمام الحسين، وبدأ المجلس يقرأ مآثر (السبايا)، والعلوية تنادي: يا زينب يا مظلومة، وتتوسل بالأئمة(عليهم السلام)وحين بدأ البكاء والنحيب على الإمام الحسين، وإذا بابنتي تفتح عينيها وترفع يديها وتحرك رجليها، وتنطق بعد سنين طوال أول كلمة في حياتها: (يا حسين)... عندئذ لم أع ما افعل تهسترت وركضت كالمجنون في الشارع وأنا اصرخ: يا حسين يا حسين .

بعدها انتقلت روحي بجسدها إلى مصاف الثابتين والمتمسكين بالنهج الحسيني، الطريق الأوحد للانعتاق من كل عبودية دنيوية .. فكان إيماني بالحسين ليس فطريا بل بيقين لا زمني العمر كله فبقي شعاع نوره ينير لي الدرب إلى الله.

عالم الأنترنتُ المدمّر

لم أجدْ فرحة تجتاح قلبي، إلا بعد أن مسكت بيدي ورقة عقد القران الأصولية من قاضي الأحوال المدنية، فقد أصبحت زوجته أمام القانون؛ لان القانون هو الذي يحكم هذا العالم الكبير داخل محكمة ضيقة جداَ. واكتملت سعادتي أكثر، بعد أن أنهى الشيخ ما حفظه من تراتيل الزواج الشرعية على سُنة الله ورسوله الكريم. وبعد زغاريد الأهل العامرة، حملنا الحب على جناحيهِ كأسعد زوجين، وأصبحت علاقتنا قوية ومتينة. وأصبحت لا أرى في الدنيا غيره. وروحي تهدأ ونفسيتي تستقرّ بمجرد رؤيته، ولا أريد أكثر من ذلك فقد تعلقت به في اللحظة التي تم اتفاق أبي وعمي أن يجمعا شملنا.. لا تقولي بأني مراهقة بل استجبت لصوت العقل، فحلم كل فتاة أن تتزوج هذه سُنّةُ الحياة، وأنا أحببت زوجي، ولم أعد أتصور فراقه. وما أجلسني أمامك أستاذة "نور" خوفي وجنوني من يأتي يوم ويتركني، وأنا زوجته وابنة عمه.

ما أن لفظت أسمي (نور) بدأ عملي النفسي والاستشاري معها، وأجمعت كل ما تعلمته أكاديمياً وعملياً في عقلي، فالخبرة التي مارستها في قسم الإرشاد الأسري للعتبة الحسينية المقدسة، جعلتني افهم ماذا تريد من تحمل هموم حياتها وخاصة الحياة الخاصة.

بادرتُ في القول: لا تتوقفي عن الحديث، اشرحي لي كل همومك صغيرها وكبيرها وبتوفيق من الله(تعالى) سنصل الى حل مناسب.

بالحقيقة أنا أعيش بعد ثلاث سنوات كزوجة صالحة لابن عمي وحبيبي، سنوات ممتلئة بالهدوء والاستقرار، أؤدي دوري المرسوم في الحياة بشكلٍ كامل، والكمال لله وحده ولا يوجد على وجه الأرض إنسان كاملَ الصفات.. وكوني زوجة محبّة لحياتها الزوجية أعترف أن العاطفة تتغلب عليّ.. تتمكن من عقلي في أغلب الظروف وأصعب المواقف، وهذا هو المعروف عن المرأة حتى لو أنها تصرفت بحكمة ولها دور أساس في البيت والمجتمع، وأسس التربية السليمة لأولادها. فتولّد الغيرة في قلبها نارا حارقة لا تنطفئ بسهولة.. تقلّب موازين حياتها، تشعر أن تمسكها بشرفها هو الحافز الأكبر لجهادها في إبقاء زوجها في سبيلها وفي سبيل أبنائها. فالإخلاص ليس مظهراً زائفاً بقدر ما هو تصرفات تنبع من صميم النفس، ولأنه من الصعب أرى صدق زوجي في كثير من الأحيان خاصة بعد ظهور ظاهرة جديدة اسمها(صداقة الرجل والمرأة). طبعاً أنا لا أرفض الصداقة مطلقاً اذا كانت بحدود الشرع وفيها من التحصين النفسي والروحي والجسدي.. ولن يتحقق هذا إلا أن يتحقق التكافؤ بين الطرفين وخاصة في المعايير الفكرية والثقافية والدينية.

هذه أساس مشكلتي أستاذة (نور)... لكنها تعود وتقول:

عندما استقريت كزوجة لم أتوقع أن تكون حياتي بعد ثلاث سنوات مجرد مشاركة في المنزل والسرير والأطفال؛ كنت أحلم بمشاركة حقيقية نكون فيها معاً في كل شيء. ولكن الأنترنت والصداقات المخالفة للدين والشرع أخذته مني حتى عندما يكون في البيت وبعيدا عن العمل. إنه يتركني لساعات طويلة وحدي مع هاتف النقال وعند الانتهاء يقول إنه يحبني وأنا حبيبته الأولى والأخيرة.. وفي الواقع رغم كل الذي أعرفه عنه أتصرف مثل النعامة أتجاهل معظم المخاطر التي تحيط بي وكأنها لا تعنيني في شيء.. يعتقد أنه لم أر أفعاله طالما رأسي في التراب... بالحقيقة أنا خائفة جداً على مستقبل زواجي وأن لم يصيبني لحد الآن أذى.

قلت لها: من خبرتي في الإرشاد الأسري ان متاعبك الأسرية هي نفس متاعب كل السيدات المتزوجات اللواتي زحف أزواجهن نحو المواقع الاجتماعية وعلاقاتها المريبة والتي أصبحت تهدد الأسر المستقرة وتدخلها في انفاق الشك والقلق لتصبح مشاكل معقدة.. وقد بدأت هذه المشاكل تتفاقم في حياتك الزوجية وأنت تحملين في رأسك أفكارا وأحلاما وسرعة في تحقيقها والضغط على زوجك مما جعله يفكر في أوقات فراغه بشيء يشغله؛ فكان الأنترنت والمواقع التواصل الاجتماعي باباً مفتوحاً لسحب الرجال والنساء من عشهم الزوجي إلى ساحة العلاقات والتعارف المشبوه.. ومن ثم اعتبرتِ الأمر سيشكّل لك خسارة زوجك لك وإهانة شخصية موجّهة لكِ.

قاطعتني متسائلة، وتكاد دموعها تنزف من عينيها : هل عندما اطلب ان احمي زوجي من السهر الطويل بدوني، وهو في عالمه المدمّر الأنترنت. أيكون هذا بسببي.. ؟.. حين أطلب أن يكون زوجي معي دائماً يكون الطلب ضغطا عليه او سرعة في تحقيق أحلامي.. ؟ هل هذا الطلب مجرد حلم لا يمكن تحقيقه.. ؟ هل اترك زوجي يضيع مني وابقى كالصنم الرخامي انظر اليه وابتسم وداخلي يحترق.. ؟

قلت: ان المشكلة تكمن في كيفية تعاملك مع تصرفات زوجك.. انك تفسرين مع نفسك على زوجك ان يلازمك في كل الأوقات وان يفعل ما تريدين.. والحقيقية يا سيدتي عليك التعامل معه بحكمة ورويّة.. عليك ان تمنحيه الاستقلالية في أفكاره وميوله لان ذلك هو الشيء الوحيد الذي يجعل انغماسه في الحياة الأسرية طعماً ومعنى ويمنحها الطابع الأسري الصحي السليم. وليكن هدفك بعد ذلك هو المحافظة على نفسيتك وسعادتك وبيتك ولا ترهقي أعصابك أكثر مما تتحمل.. ارجعي دائما الى بداية زواجك والحب والعلاقة القوية وصلة القرابة بينكما. انظري إليه نظرة تفاؤل بدلا من ان تدفني راسك في التراب. وليكن سلاحك التضرع الى الله(تعالى) ان يشفيه من هذا الابتلاء. لا تسمعي من الناس أقاويل تقلقك فزوجك لايزال رب بيتك .

قاطعتني قائلة وكأن كلامي بدأ يداعب مشاعرها ويعيد اتزانها :

ولكني متأكدة من حبه لي، ولكن كلما رن هاتفه النقال يهرب مني الى مكان لا استطيع سماع من مع يتكلم فالشيطان يكون في عقلي وعقلي يجنبني الشيطان، فأصبر لأنه زوجي وكل ما أملك في حياتي. أمر سخيف ومضحك لكنه حقيقة واقعة.

قلت: انك تحبين زوجك وهو كذلك، إذن هو بحاجة الى الوقوف بجانبه.. اتركي كل شيء وركزي على كل إيجابياته، وحدثّيه بكلام الجيد واللطيف والطيب، فطبيعة العراقي طيب القلب وان لم يبد لك تجاوباً.. وعليك ان تقنعي نفسك اولاً ان زوجك ليس خصمك. فالحب في رأيي هو تلك الصداقة العجيبة الممزوجة بالعلاقة الزوجية. فما يعيب المرأة أنها تعد أن حياتها قد انتهت بمجرد مخابرة تليفونية مع امرأة مجهولة فتهمل نفسها وتهمل جمالها وتهمل زوجها وتدخل مرحلة المرض والخوف والظنون. وما لا تفهمه أن لها القدرة على تحويل الزوج من حال الى حال.. كثيراً ما يكتفي الزوج بان يعيش في أحلامه ثم تأتي الزوجة لتجعله يحوّل هذه الأحلام الى حقائق من خلال كلمة إطراء في وسط المناقشة تقنعه أكثر من أقوى الحجج!.

لذلك أنصحك ان تجلسي معه في ساعة صفاء، واخبريه بطريقة لبقة ان الآباء هم قدوة للأبناء. وأنه بشكل خاص أب مثالي في الاسرة، لأنه راعيها ومسؤول عنها، فلا يجوز ان يتعلق قلبه بغيرهم. وبود وابتسامة أشعريه انك بحاجة اليه دائماً، حسسيه بلطف ان عليه مسؤوليات شرعية لا يجوز التغافل عنها او إهمالها

بطريقة اللامبالاة وترك المقربين عليه والاهتمام بأسماء وأصوات قد تكون مجهولة او مقنعة.

استوقفتني بشكل غريب ومن ثم قالت : لا مشكلة عندي مع زوجي من الناحية الزوجية، فمنذ اول زواجنا كان مواظبا ولا يزال.. وأنت يا أستاذة (نور) تفهميننني.. مرت السنوات الثلاث بشكل عادي جدا، تخللت حياتنا مشاكل بسيطة كنا نحلها مثل أي زوجين ونصل احيانا الى قمة السعادة.. مشكلتي مع زوجي الآن هاتفه النقال اصبح كالزوجة الثانية ينافسني على زوجي.. وزوجي ادمن عليه بشكل غير طبيعي مما قلّل من اهتمامه بي.. فشحّت عاطفته نحوي مما اثار على نفسي الشك بانه على علاقة بامرأة أخرى.. لكنه معي طبيعي، وانا لا اجرؤ على مفاتحته بما يؤلمني منه. أشد ما يقتلني استخدامه المفرط للاتصال عبر الأنترنت بعيداً عني.. ؟! اشعر أن زوجي الذي عقدت عليه آمالي ووهبته حياتي بدأ يتحول عني شيئا فشيئاَ، فمن خلال تواجدي هنا في قسم الإرشاد الأسري احد منابع الخير للعتبة الحسينية المقدسة؛ احاول قدر المستطاع ان استرجع زوجي الى جادة الصواب.. وأنا شخصيا لا أدع لهذه المشكلة ان تهدم حياتي، ولكن لا أنكر اني في وضع الغيرة لانني أحب زوجي فمن حقي ان أغار عليه من حسد الآخرين ومن العيون .. لكن الهاتف والمكالمات الطويلة تشعرني بشيء من الألم يعصر قلبي ويدفعني حرصي على المحافظة على زوجي لأني لا أريد لأي شخص ان يشاركني ويقاسمني حبي.

هنا انهارت وبدأت دموعها تهطل جمراً من عينيها.. أشعرتني بمسؤوليتي كاستشارية فقلت لها وبهدوء وسكينة:

- انك واعية وإنسانة مثقفة تستطيعين من تغيير أسلوبك معه، طالما هو يكذب عليك بمعنى هناك أمل في إصلاحه.. ؟ وطالما انت صابرة ولم تجرحيه بالحديث الخشن.. يعني انك غيورة على أسرتكِ وقادرة على التحكّم في المشكلة.. وكلنا يعرف ان الغيرة سيف مشهور على القلب!. فشعورك بالغيرة يختلف عن الشك فالغيرة غريزة كامنة في كل نفس بشرية، تقوى وتضعف حسب وضع الانسان وبيئته.. لا تجعلي حب الامتلاك هو الدافع الاول الى شعورك بالغيرة والشك، لان كل فرد بشري له كيانه الخاص واطباعه وشخصيته الذاتية اللتان ينفرد بهما عن الاخرين.. فعليك سيدتي، ان تكوني حذرة في تعاملك مع زوجك. حاولي ان لا تجادليه بعد كل مكالمة هاتفية، اشعريه بالاهتمام والرضا.. افرحي لفرحه اذا كانت علامات السعادة على وجهه شاركيه السعادة، ولتكن ثقتك بنفسك عالية ان صاحبة الهاتف وهم مؤقت في حياته وانت حقيقية موجودة بين يديه.. اسهري معه قومي بدور الزوجة الغيورة الحبيبة واخبريه انك موجودة وبحاجته دائماً.. ومن ثم راجعي نفسك واسأليها.. لماذا بعد هذه الفترة الطويلة من حياتك الزوجية السعيدة تغير زوجك.. ؟ ومنذ ظهور ظاهرة الانترنت تغير.. ؟ الا تعتقدين بانك انت المسؤولة بطريقة غير مباشرة عن سبب تعلقه بالهاتف والنساء المجهولات.. اعملي بما قلت لك

وزيدي من اهتمامك بمظهرك داخل البيت وفي غرفتك واعطاء غالبية وقتك للاهتمام به، اجعليه يشتاق اليك كزوجة وصديقة وحبيبة. اعملي بذكاء خطوات عملية لزرع في روحه الحماسة والاثارة، ساعديه على ان يستوضح أهدافه وأماله بان يناقشها معك وشجّعيه على ان يحاول اصابة هدف معين امامه بدلا من ان يمضي حالماً بالوهم وبأهداف غامضة. وأن لم يتغير مع الوقت، كوني قوية واشرحي الامر لاحب شخص له فزوجك بحاجة الى شخص يجذبه الى الطريق الصحيح باتجاه بيته وزوجته وأولاده.

وما أن ذكرت اشرحي الأمر لاحب شخص لزوجك، نظرت إليه بخوفٍ عجيب، وانتظرت منها رداً يشفي غليلي كي أضع النقاط على الحروف وان قضيتي النفسية قد أدت مهمتها بشكل رزين بثوابت منطق علم النفس الاجتماعي.. ولكنني تفاجأت بانفعالها وشدة تأثرها من إشاعة خبر زوجها لمحيطها أو محيط أسرتها على اقل تقدير.. وبعد بكاء صامت وغليان داخلي قالت:

- حين أقبلت الى قسم الإرشاد الأسري من أجل ان أجد حلا مناسباً لإرجاع زوجي إلي لا أن افضحه في كل مكان.. أرجوك أستاذة (نور) ليكن الأمر سراً بيننا وسأغدر هذا المكان كأنني لم أقل لك شيئاً.

هنا توفرت لي فرصة اكتشفت مدى خوف هذه الزوجة من خسارة زوجها لكون لم يسئ لها في كل تصرفاته وإنما الإساءة تشعر بها هي وحدها حين يتركها ويتفرغ الى حديث طويل مع

صديق أو صديقة أو غير ذلك.. ما شجعني الى مراجعة ورقتي النفسية مرة أخرى لأضيف قاعدة جدية إليها هي أن الكبرياء ورطة في الحياة الزوجية، ثم إن المسألة بسيطة، على الزوج أن يعتذر مرتين: حين يكون مخطئا، وحين تكون الزوجة مخطئة!. وطالما هو يعتذر لها ويقول لها حبيبتي بمعنى إن الأساس قوي لا يمكن أن ينكسر بشكوك وغيرة الزوجة. فالأزمة في الحياة الزوجية أن القلب يدير المنظومة في البداية، ومع تصرم الأيام يزاحم العقلُ القلب، ثم يبعده ليفرض العقل لغته ويبسط نفوذه، سبب الأزمات المبكرة التي تزيدها تعقيدا حطباً، نصائح الأصدقاء والأقارب.

قلت لها: سأختم لك ببعض ما قلته عبر قواعد ممكن أن تقرئيها كلما نضج الخلاف بينك وبين زوجك خاصة حين ينعزل بهاتفه النقال ولا تعلمين من يحدثه.. ؟ وحتى لو كنت تعرفين عليك أن تعملي بخطواتي التي سأذكرها لك حتما.. أولها: أن لا تسمعي لأي كان من يشوش سمعة زوجك، ولا تتحدثي لصديقاتك وأقاربك أسرار بيتك...

ثانياً : عليك التعامل مع افعال زوجك بحكمة ورويّة، وليكن هدفك هو المحافظة على نفسيتك وسعادتك وبيتك، ولا ترهقي أعصابك أكثر مما تتحمل.

ثالثاً: انت تحبين زوجك وهو كذلك، وعلاقتكما قوية كما أخبرتنا، لذلك عليك أن تنظري الى زوجك نظرة تفاؤل، واعلمي أنه ابتلي بما هو عليه، وهو بحاجة الى الوقوف بجانبه، وأن

تتضرعي لله من أجله، وأن تركّزي على ايجابياته وتمدحيه بالكلمة الطيبة، فهي لها أثر في النفس وتلين القلب حتى لو لم تجد منه تجاوباً.

رابعاً: اجلسي معه في ساعة صفاء واخبريه بطريقة لبقة أن الآباء هم قدوة للأبناء، وخاصة الأب فهو المثل الأعلى في الأسرة لأنه راعيها ومسؤول عنها فلا يجوز ان يتعلق قلبه بالسهر على مواقع التواصل الاجتماعي ولا مانع من تحديد أوقات للجلوس على الأنترنت أو السهر مع الأصدقاء واخبريه ان عليه مسؤوليات زوجية شرعية لا يجوز التغافل عنها او إهمالها بطريقة مجحفة.

خامساً: غيّري أسلوب حديثك معه واستمعي له عندما يتحدث ولا تجادليه أو تقاطعيه عن الكلام وان لم يعجبه واشعر أنه على صواب ورايه صائب لا تهملي الموضوع كعقاب له بل قومي بدورك كزوجة وحبيبة واخبريه انك بحاجة اليه وتشتاقين له.

سادساً: رغبيّه بالخروج كاسرة كاملة لزيارة المراقد المقدسة او أي مكان ترفيهي .

سابعاً: اذا كانت المشكلة أخذت حجما كبيرا، فزوجك بحاجة الى شخص يرجعه الى جادة الصواب.. فلا مانع من تدخّل بعض العقلاء من أهل الفضل من محارمك أو حتى من رجل دين ينصحه ويشرح له حقوقه الزوجية الشرعية، فان النصيحة من الأخرين لها اثر بلا شك.

ثامناً: زوجك بحاجة الى شخص صالح يجذبه الى البيئة الصالحة التي ينتفع منها .. وليس اصلح من حلقات تلاوة القرآن الكريم فهي تهذب النفس.

ما أن أخذت الورقة وتفحصتها كأنها وجدت ضالتها الضائعة، تغير لون وجهها وبدأت بالابتسامة تشرق على محياها.. ذهبت وكنت أنا في انتظارها على أحر من الجمر كنت أتواصل معها عبر الهاتف كانت متفائلة جدا.. وأخر مكالمة لها قالت زوجي في أحسن أحواله ونعدّ العدّة للسفر الى بيت الله الحرام لأداء فريضة العمرة.. كان سروري كبيرا وأنا أقولها لها تمسكّي بقواعد الإرشاد الأسري ولا تنسينا بالدعاء والزيارة.

قربان

كان الرصاص ينهمر مثل سيل مطري، وتتردد في الأفق أصوات الانفجارات لتحيل المكان الى مساحة ملغومة بكل ما هو غير متوقع...

اعتدل في جلسته وتمكن من إخراج رأسه قليلا خلف الجدار ليرى جزءا يسيرا من المشهد أمامه، فمنذ مدة من الزمن والرصاص يندلع بلا هوادة من مجموعة قناصين يتحصنون خلف بناية قديمة تقع بالقرب من مصفى بيجي.

شعر مثنى بالحزن لما يراه من تمكن هؤلاء الجرذان من قطع الطريق وإيقاف زحف أبطال لواء (علي الأكبر)، وقد اقسم الجميع على اقتحام المصفى، وجميع البنايات التابعة له.. حوّل الغربان المعتوهون المكان الى حرائق تتصاعد ألسنتها الى عنان السماء وقد ثقبوا برصاصهم الغادر خزانات النفط.

فكر مثنى مليا... النفط نعمة من نعم السماء، كان يمكن ان يتحول بعد استثماره الى خبز وأراجيح وسقوف تأوي المشردين، لكن الجرذان بارعون في اغتيال الأمل وقتل الحياة.

جاءته صرخة من احد رفاقه:

- مثنى احذر ان تخرج رأسك .. فلقد كثر القناصون.

ابتسم في داخله وأدرك ان قناصاً يربض خلف البناية العتيقة، هو من يقف في المقدمة ويعيق كل شيء .. قرر مع نفسه ان يركز

كل حواسه ويرقب كل تفاصيل وحركة المكان لكي يصطاده، تذكر أباه قاسم وهو يصطاد الجرذان في احد بساتين النعمانية، لماذا لا يكون شجاعاً مثل أبيه.. ؟ كان رجلا مقاتلاً في الحياة والزراعة واقتناص الحيوانات وإثارة رعب اللصوص والغرباء.

شعر مثنى بأنه منقطع عن العالم تماماً، وليس أمام ناظريه سوى القناص الذي كان حذراً مثل اي جرذ، لكنه قرر في لحظة أن يجندله وإلا لا معنى لبقائه في هذا المكان، نظر الى السماء وشفتاه تلهجان بالدعاء ان يكتب له النصر او الشهادة، وان يتمكن من ازاحة هذا الكائن المكتظ بالقبح وبعدها سينطلق لواء (علي الأكبر) ليعانق المجاهدون مصفى بيجي مثلما تندفع الجموع لمعانقة حضرة قربان الحرية الإمام الحسين (عليه السلام).

وضع أصبعه على الزناد وعيناه مثل عيني صقر يراقب فريسته.. امتلأ صدره بإحساس من المسرة والنشوة وهو يستحضر صورة امه التي نذرته منذ طفولته للإمام القاسم(عليه السلام)، وانداحت ذكرياته في صباه وهو يسهم في التشابيه التي كانت تتوشح بها مدينة النعمانية... أغبطه شوق غريب الى ان يقدم روحه قربانا لكي يستمر الزحف مثلما فعل (القاسم) وهو يعانق الحتوف بين يدي عمه.

هؤلاء الجرذان بحاجة الى من يجتث عفونتهم، كم تمنى ان تكون رصاصة واحدة تثقب كل رؤوسهم الخاوية وضفائرهم المليئة بالقمل والعبث والخواء.

تعبت ساقه اليمنى وتسلل فيها الخدر، حاول ان يحركها ليسري الدم فيها.. اجتاحته الفرحة الخفية وهو يرى القناص يخرج رأسه ويطلق سيلاً من رصاصاته، ركز انتباهه للحركة القادمة ودون ان يستوقفه اي شيء، ضغط بقوة على زناد (البي كي سي) وهاله المنظر الغريب حين تجندل القناص وتحول الى جثة نتنة سمع خلفه صيحات (الله أكبر... الحسين انتصر)، وشعر ان الجميع انطلق باتجاه المصفى كالزحف المهيب...

يا للهول كم كان هذا النتن مؤثراً، وقد سقط مثل جرذ خائب.. تذكر كلمة أبيه وهو يصطاد الجرذان بان الجرذ حيوان مؤذ لكنه حيوان غبي.

قبّل بندقيته وتمالكته رغبة الحاجة للهتاف وقراءة السور القصيرة والصلاة على النبي وآله، ورصاصة ذكية واحدة فتحت الطريق اليك أيها المصفى.. ستنال حريتك وستطاردهم حرائقك الى حيث جحورهم.

تساءل مع نفسه هل ستعرف امه وأبوه ما فعله ابنهم (مثنى قاسم الكلابي) وقد سحقت رصاصته رأساً مليئا بالأوهام.. ؟

تخيل المشهد فهو يعرف امه حين تسمع الخبر ستطلق الزغاريد وتوزع الحلوى على النساء والأطفال، وستحضر(صينية) القاسم، فابنها منذور له.. شعر انه أوفى بعهده، وحقق ما يتطلع إليه كل الآباء والأمهات الذين ينتظرون أبناءهم وهم يصنعون الحرية ويدسون الموت الزؤام بأرواح تفوح منها رائحة العفن.

قرر العدو مع رفاقه لكنه شعر بخدر في كتفه الأيسر وبحرارة تسري في أوصاله.. هجس قبل ثوان إن أطلاقه انطلقت ويبدو إنها اخترقت كتفه الأيسر، صرخ بأعلى صوته فالجرح بدأ يتسع ويلتهم قواه.. اقترب منه أحمد، أحد رفاقه في الجهاد.. وناداه:

- انهض يا مثنى فجرحك ينزف، سأنقلك الى موقع الإسعاف.

هيمن الحزن على أحمد وفي أعماقه شعر بان (مثنى) بدأ يفيض بروحه ويحلق باتجاه الأبدية، ليتحول الى قربان لمدينته النعمانية.. ولتعلو زغاريد الأم وحماستها وهي تعانق ابنها البطل، شهيد الجهاد (الكفائي) المقدس، فيكفي ان شفيعه (القاسم) قربان الحرية المعطرة بالشهادة.

قرر أحمد ان يرافق جثمان صديقه الى مدينته النعمانية، فشرف كبير ان تتحول القرابين الى كرنفال مشع من الأيمان وتمجيد البطولة.

بكى أحمد طويلا ولم يجد في جيب صديقه سوى صورة الأم البهية ومبلغ سبعة الأف دينار وهاتف من النوع الرخيص .. انه اغلى قربان.

- الى روح الشهيد السعيد (مثنى قاسم الكلابي) اصغر شهيد بالحشد الشعبي من أهالي قضاء النعمانية محافظة واسط تولد عام 2000 عمره أقل من 15 ذهب للجهاد ولبى نداء المرجعية، ولبى نداء ربه.

نذور الأمهات

نذرته امه خادما للامام، باول حركة من احشائها، وحين سحبته المولدة من قفاه، وقصة حبل المشيمة، وتحرر ككائن بشري جديد ورقما الهيا مستحدث على الارض، ومع صرخة البكاء الاول له .. امتزجت صرختها بصراخه، محشرجا كان صوتها، وهي تراه للوهلة الاولى وكانه البدر في لليلته الأولى، انتفضت اوصالها واتسعت هالة السواد حول عينيها، بلا وعي هتفت: يا الله... هذا قربانك الجديد لابن بنت رسول الله، امامي وإمام العالمين، وسيد الكونين، وسيد شباب اهل الجنة..

ادركت نشوة الدفء فأسرعت تلم صغيرها على صدرها فزال وجعها وخوفها، ولكن الحزن خيم وبان على محياه.. لان زوجها لم يكن الى جانبها، اخذته الملائكة متضرجا بدمائه، بعد ان غدرته الايادي المتشيطنه باسم الطائفية... ذبحوه علنا امام العالم .. واصوات النشاذ من شيوخ ورثة قطع الروؤس تعلن تكفيره .. عرفتهم الدنيا بأسرها، لان فلم ذبحه مروجا على كل القنوات والوكالات، وبحث (الكوكول والياهو) سرعان من تظهره يذبح على اصوات(تكبير).. بقت لسنوات عمر ابنها وحيدة في بيت صغير بالقرب من حرم سيد الاحرار والشهداء، حافظت على كل توصيات زوجها، وعاشت برغبات محدودة، واعتصمت الحديث والخروج والاصدقاء والاقرباء الا ما ندر، فنادرا ما ذهبت الى ابعد

من دكان البقالة القريب من بيتها ويبدو ان من حولها من جيران ومعارف لم يمنحوها اهتمامهم ابدا، وقد دابت على المحافظة على زيارة الامام الحسين واخيه ابا الفضل العباس، وعلمت ولدها في مدارس الامام بصمت وكبرياء، حتى بان شابا يا فعا شبيها بابيه، وعوضها الحرمان وسد عنها بغيرته الحسينية التي شب عليها ما عجزت عن توفيره له كطفل، ارضعته وهي صائمة لله تعالى واشبعته وهي جاعة، وغذته الحلم والشهامة والكرم، يخدع بملامحه الجميلة وسحر عينيه وشعره الاسود الفاحم كل من يراه، يشار اليه برجل حكيم ومثقف، رغم انه لم يكمل عامه الرابع عشر بعد ان زورت امه وثيقة رسمية، يحاسب عليها قانون العقوبات بالسجن والغرامة، ليصبح بالغا...

بقي نذرها ساري المفعول حين تتحدث معه وتلاطفه كي تفرح قلبه الصغير .. تذكره دائما بأنه "منذور" لخدمة الامام، وانه قربان جاهز له متى شاء الله ذلك، والان يا ولدي ان الاوان لتكون اسما في لائحة الشهداء المدافعين عن العقيدة والمذهب ومقاتل شجاع في سبيل ما تركه الامام الحسين من مقدسات وحرمات بدمه الطاهر... اذهب يا ولدي وكن شهيدا او ترجع الي ببشارة النصر..

قبل يدها والتحق بصفوف المجاهدين من ابطال الحشد الشعبي الذي قدسته فتوى (الجهاد الكفائي) من قبل امام الامة ومفتيها وزعيمها الاوحد بعد صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه الشريف)... تاركا دراجته الهوائية التي قاسى حتى اشتراه بنقود

حصالته كي يلهو بها في العطلة الصيفية مع اصدقائه ليلتحق بحشد الله..

شعرَ (احمد الكربلائي) بأنه رجل ومقاتل شجاع وحارب ببسالة جرذان العصر بعد ان تدرب على كافة الاسلحة، اغبطه شوق كبير الى يقدم روحه قربانا لنصرة الحق، وانقطع(أحمد) عن العالم وهو يعانق الموت في كل معركة، وليس امام ناظريه سوى رضا الله والحسين وامه.. قاتل قتلا الابطال لم تغمض له عين وهو يجندل كل ما يقع عليه بصره حتى القت ملائكة الرحمن القبض عليه فجرا، في فلوجة العراق وحملته بأجنحتها، كشفت امه الغطاء عن وجه، وجده وهو يغط في نوم عميق مبتسما، كبرت باسم الله العظيم بأعلى صوتها، وهي تهزج: صعد الغالي (احمد) ملتحقا بعلي الاكبر ابن الحسين في الفردوس..! ناثرة على نعشه بقايا نذروها، قربانا لله العظيم وللحسين الوجيه.

يرى نفسهُ

خذ قرارك وأفتح الباب، قد تجد ما بعدها ما تريد أن تعرفهُ، وربما تجد صديقاً صادقاً أو قرين طريق يطفئ لهيب النار في قلبك... أنتبهَ لا تقترب أكثر هناك ظلمة تتكتك، تطفئ نور إنسانيتك، لا تجّني منها سوى الريحُ الصفراء تتحسسها ولا يمكن أن تلمسها، تعذبك ببطئ وتضحك في وجهك، ولكن في وسعك ان تسمع صفيرها أحياناً، حين ينضج إبداعك في النور، وتتلاشى بسرعة، ولم يرَّ أحد فحيّحها.. ولا هي نفسها ترى حين يعمَّ الهدوء، وأنت فرح تنصت بتركيز الى جوفِ روحك، وسرائرَ نفسكَ وأحياناً تبحر في عمق ذاتك ..

قل لي لماذا تفرح، كما لو كانت الريح تجتث بأذرعها المتسلطة وأفكارها المشبوهة القلوب الرحيبة والطيبة.. ؟

- يكفي انني حيٌ أتنفس عبق المكان! مثل كتاب بلا كلمات .. وفي رأسي مشروع مثل النهر يجري نحو المنبع، وفي داخل روحي ثمة طاقة موشكة على الظهور. لا يهمني أي فرد أخرق بما يكفي ليكون حكيماً، ينعوج مثل المسمار من أول دقة.

أنت تمشي عكس تيار أفكارهم المريضة ومبتهج ..!؟

- صحيح لأنني، أبحث عن معنى وجودي في هذا المكان المقدس..!، بعد أن كنت لسنين خارجه، اخوض في الأوحال، أجاري الأصوات الجارحة، وانظر الى أشكال الحيوانات الملونة

في أطباعها وجوهرها الحقيقي. وأتنقل بين فخاخ أنسجة العنكبوت التي تنصب شباكها المشؤومة لصيد الحقيقة وتحجيمها وإذلال الأصوات النقية القادمة من الأعلى..

والابتهاج الذي تراه هو رؤيتي لنفس ما رأيت خارج المكان المقدس باختلاف الوجوه فقط، بل تجاوزت الافعال الكلبية والعنكبوتية كل مسوغ انساني، ولكن بنوع من الفضائل التي لا يمكن ان تعلنها، وإن شخصّتها وأعلنتّها، ستكون فوراً - أما ملحداً أو طائفياً أو علمانياً- اذا ما حكموا عليك بالكافر، ولا يكون ثمة شيء تفعله سوى قبول اللعنات.

لم تقل لي عن أي وجود تبحث.. ؟

- أبحث عنه كأي خادم في رحاب سيده، يرى نفسه ملاك طاهر، زاد احتمال يقينه، كنقطة ضوء توشك ان تصبح شمساً او نجماً او قمراً، لا تصدم بأي ظلام. فالنفس التي لا تخطئ لا تفعل شيئا سوى ما يفعله النور الذي يشق الظلام بقوة لينير دروب التائهين والنادمين.

هذا لا يكفي ان يجد الانسان وجوده في هذا المكان المبارك.. ؟

- الطيبُ سيجد وجوده بعقل، حين يأتي يوم حساب..!؟

البُشَارة

تخلّيتُ عن كلّ ما كان لي، ولم يبق لي غيرُ ايماني.. مزقت كل أوراق الاطباء، ورميتُ جميع العلاجات، وتحملتُ اقسى الضغوطات النفسية.. مسكينة زوجتي كانت هي الهدف في جلسات الذين لا يخافون الله او من هم على نيتهم، والقليل جدا هم الناصحون بمحبة تشعر بها فيرتاح قلبها المنكسر. كنت أنا طبيبها الدائم اسكنْ ألام الكلام الموجع بالتضرع الى الله فهو الذي يعرف السر وما خفى. سنين تمضي ونحن تحت قوس نار المقارنات بأشخاصٍ لا يرتقون الينا لا بالسمعة ولا بالشرف ولا بالإيمان.. كنا أنا وزوجتي نتَّقي الكلام بالصبر وعدم الرد، ونستعصي على أنفسنا من أي نظرة حاسدة او شامته، ونرضى بالقليل وما قسمه الباري لنا من ارزاقهِ ونحمده حمداً دائماً على جميع نعمهِ، ونعطي فدية العمر بالصبر الجميل.

خير ما نعمله هو التمسك بما قسمه لنا رب السماوات، ولكن زوجتي كانت مهمومة تبكي جزعا، وكانت الايام تطويها حسرة وخوف ويأس. أما أنا فبكائي كان داخلياً يمزق احشائي، فقد انقطع الامل بعد سقوط الجنين الاول.. يا فرحة التي لم ددتم!.. وزاد الهم والوجع بالسقوط الثاني الذي هز زوجتي التي تركت دراستها الجامعية للمحافظة على جنينها.. ثلاثة سنوات حتى غاب عن اعيننا الامل في الانجاب. ثلاثة سنين لم تنطفئ مجامرنا.. ولم

تهدأ أرواحنا، والبكاء لم يهدأ، والتضرع في كل مكان نلمس منه الامل ونألف من الاجابة. وكل روايةٍ رويت عن الانجاب من الاموات والاحياء تمسكت بها ولم احظي بالمراد.. عذاب في عذاب عشت في كل زاوية من البيت، وقهر في قهر بكل مجلس يذكروننني بتأخير الذرية..

وفي كل يوم كانت دورة الكلام تعيد مرارة الاشتياق لولدٍ يطفئ كل هذه النيران وصخب الاحاديث. تبدّلَ كل شيء فيّ وتغيرت، وحاولت أن أغير فكر زوجتي عن ترك فكرة الانجاب، ونبقيّ إرثنا الوحيد هو الحب الصادق بيننا. هذا كان كل ما تبقي لي بعد ان مزقت ذاكرة أن أكون –أب- ومزقت تغلغل الشيطان الى إتلاف راحتي، وقايضت النفس ان تكون حليمة بنجاحي كإعلامي في أطهر بقعة على الارض وقرب باب الرحمة التي وعد الله عباده بها.. فمن دخللها أمن العذاب وكسب الجنة، فكيف وأنا عامل في قلب الجنة.. فكل الاشياء لم تعد لي ذات أهمية؟. واصدقائي وخلاني وحتى جيراني ومن أسمعَ زوجتي الكلام القاسي لم يعد لي شيء. وعنواني غيرته، فلم يعد لي عنوان، أنا وزوجتي فقط نحيا ونسير ونموت، نكبر مع أحلامنا بصمت، اذا فاضت استفاضت معها الروح. وأن خفت أحلامنا نحملها الى الله ونسعى بين ابوابه ونشقى في التضرعات حتى يأخذ أمانته.

انتعشت تجربتي كإعلامي، ونشغل ذهني بالعمل اليومي، واقفلت كل الآمال والاحلام وانقضى من العمر سنين من الانتظار

الموجع. لقد كان لي طرقي الخاصة فمشيتُ بها، وأسلمت قانون حياتي الزوجية لله.. حتى كأن الذي يتمنى ويحلم ويصبر ويتألم غرّ سواي. وأسمع كل هسيس خفيّ ما بين الشماتة، والانتقاد، والتقليل من شأني وشأن زوجتي يتسرب من الذين أبعد الله عنهم الرحمة في الكلام. وزوجتي رغم صبرها الذي منحته لها بالملاطفة.. لم تزل خلف جدار البيت تكتظ بالخوف وعيناها بانتظار دائم وهي شارة الفكر سبب او بلا سبب. بقيت تستظل بالحكمة والدعاء، وحدهما كانا لها الاطمئنان الروحي لعذابات قلبها المهضوم والمحروم من الذرية.

وقبل أن تستطيبَ عذاباتي، ونضارةُ زوجتي ومباهجُ بيتي.. يا لهذا الصبر المشتعل بالنار وهو يلف الروح جعلني ادخل الى ضريح الامام الحسين(عليه السلام) والدمع يملأ المآقي.. دوامة الزيارة أخذتني بعيداً لست أذكر الى أين، بل لست أعرف ماذا قلت في جزعي المؤلم.. وحين انتهيت طار قلبي من مكانه فرح، وارتفعت معنويات روحي الى أعلى درجات السعادة.. وانهمرت دموعي وشممت رائحة الضريح الزكية وأنا أتنفسها.. جاء صوت صديق: تقبل الله طاعاتك.. بهذا الشعور الجميل الممتلئ بالإيمان والرضا يراد لك زيارة الى السلطان علي بن موسى الرضا لتأخذ بُشَارتك منه.. هناك عند غريب الطوس لك هدية تنتظرك؟!. لم أكذب القول بل أجمعت كل ما فيّ من طاقة معنوية ومادية وذهبت الى الإمام السلطان وقلبي يئنْ، وعند وقفوفي عند جدثه بدأ كل

جسدي يئنْ.. كان الانين دمعاً كالجمر تذرفه عيناي، وجبيني ينضح عرقاً فيختلط دمعي مع عرقي فيغطي وجهي كأن شيء ما سيحررني، شعرت بانني طير طار، وجالَ تحت قبة الضريح.. شعورٌ لا يوصف وأنا التمسُ دفئاً لم اتحسس مثله، فاستعدُ لطلب حاجتي، وموجة الزائرين تسحبني الى المرقد.. ما أن مسكت بيدي شباك الضريح جاء في رأسي سيدي الامام الحسين عليه السلام، فقلت:

- بحق كل قطرة من دم جدك افرح قلبي وقلب زوجتي بطفل اسميه على اسمك.. أيها الرضا الغريبُ، بحق -الدماء الزاكيات- بكربلاء، أسعد قلب زوجتي وقلبي بولد يحمل اسمك.. فقد قاومت في النفس كل الهواجس، وكل المخاوف وعند بابك شعرت بالأمان والاطمئنان..

واستمريت بتكرار طلب حاجتي والعهد الذي قطعته بالالتزام بالاسم والعودة للشكر مع أهزوجة وتهليل(جيتك سيدي ومولاي هذا وليدي سميته على اسمك علي).. وما أن انتهيت حتى شعرت بالرضا الداخلي، ونفسي المطمئنة ان الامر سيكون. بدأت أؤمن بنفسي، وبقدرتي على الخلق والابداع حتى توغلت في صنع مستقبلا يرفع من شخصيتي. يا لعظمة الانسان عندما يقف وجها لوجه أمام مصيره يحارب الحقدُ المتراكم في النفوس، ويخوض عراكاً غير مرئي ومرئي أحياناً من أجل الايمان بعدالة الله.. والصبر

يعزف أنينه، يتكلم، يضحكُ على الجاحدين وطواويس الحياة، وقلبه يدق كصوت الطبل عند كل مشهد مقدس.

دفترُ زيارتي لم يطّوي، وروحي نصفها مع زوجتي.. مفتوحِ العيون تقرأ بالتمتمات الخفية، وأمنيتي تجتازُ قمةَ الصبر، تناطحُ الحياة بخفقة القلب وهدأة الضمير.. لأنها لا تعرف الحساب والظنون واليأس، لأنها مجبولة من طينةِ كربلاء وقبس ضريح شهيدها الخالد.. سبعة أشهر أعمق من الدهور بلا طبيب أو أعشاب وشيء كأنه معجزة لا خيال، جاءت البُشَارة من السلطانِ، بنفحة أمل ليكون في رحم صانع الحياة بذرة الحلال من الُمحال.. وأتمت زوجتي شهورها لتكون مع الايام على وفاق وهي تستنشق الحياة سعادة ملء رئتيها.. حتى ضمّدت جراحات صبرها بملاك أسميناه على العهد (علي)..

الصديق القائد

كان مضطربا نفسيا، حائر البال، حديثه غمرته نزعة من الحزن، لم يكن راضيا عن تصرفات اصدقائه المقربين، فالتنافس بينهم وصل الى ذروته وبدأت الروح العدائية تظهر بينهم، وبنفس الوقت لا يتفرقون بسبب جدران الصف الدراسي الذي يجمعهم كل يوم، وهم ثائرون على الحياة الجاهمة، يقاومون الحظ العاثر، ويرسمون قدرهم الغاشم، فكل واحد منهم يتقدم من سبقه تطلعا في الثقافة والفكر والدين والالتزام الاخلاقي، ليحسن احدهم صنعا اذ لم يتطلع خلفه، رافعا شعار لا خير في الحياة اذا لم أكون فيها شيئا، بارزا سبّاقا لمن حولي.

وقف يتطلع عليهم، وهو يقرأ في مخيلته طموحهم المشروع، وأمانيهم وآمالهم، لم يستطع ضبط روحه المضطربه ونفسه المندفعة وعواطفه الجياشة، ولا يتمكن من كتم شجونه. اصبح سلوكهم غريبا ومفيدا بنفس الوقت، فهم يتنافسون حتى على القاء التحية والسلام يتسابقون على الوصول المبكر من يأتي متأخرا هو من يلقي التحية ويصافح يد صديقه، أو يأكلوا ببطئ في المطعم حتى ينهض الاول كي يدفه كلفة الطعام، ويرحل بعيدا عند وقوعه في الخطأ او حصوله على درجة امتحانية اقل من صديقه، ويتذمر عندما تكرم الادارة احدهم بالتميز. فالجميع يحاولون ان يكونوا في الدراسة والحياة من الفائزين.

حاول ان يجرب فكرة تربطهم أكثر ببعضهم، ان يكون وسطا، فالصديق الوسط لا يحدث ضجة، ولا يجلب صخبا، ومكان الصدارة في الحياة لا يكون، ولا يصل اليه الانسان الا بين الصخب والضجة، وهدير العمل والدراسة المتواصلان.. سرى في نفسه طائفا عنيفا من الحرارة وهو يستقبلهم في غرفة بيته، أنهم الاصدقاء الخمسة المميزين في الدراسة والصداقة، ليقول: اصدقائي نحن على مفرق الطرق، قد تقف الدنيا في وجوهنا احيانا، وقد تضيق بنا او تسخط علينا، ولكن اذا احسنا ضبط النفس وتمالكنا عواطفنا، كنا في اخر الامر جميعاً من الناجحين، وأصدقاء متكاتفين.

أعلموا ان من اسباب النجاح في الحياة حسن اختيار الاصدقاء، فاذا صفا لك صديقا، فكن به أشد ضنّا منك بنفائس أموالك، لا تعطيك المقادة في كل ما تريد، فكيف بنفس غيرك، وحسبك ان يكون لك من صديقك أكثره.

واتفقنا سلفا ان لا ننظر الى الذين يمرون في طريقنا، ولا الى الذين يسيرون خلفنا، بل ننظر دائما الى الذين يسيرون أمامنا، فهم الذين يجب علينا ان نسبقهم.

الفكرة اصدقائي ان نتعاهد ونجعل منا قائدا يسير بنا ونسمع له، وسنبدأ من أول امتحان في المدرسة، فمن يحصل على اعلى درجة امتحانية يكون قائدنا الاول حتى الامتحان القادم فكل امتحان من يكون متميزا بدرجته يكون قائد بلا منازع. وسنعمل

على ذلك حتى في نهاية العام الدراسي الذي يتفوق منا بدرجاته هو الصديق القائد الذي يسير بنا حيث يشاء ونحن له طائعون.

في هذه الحياة اما ان نكون صفرا من اصفارها لا شأن لنا ولا قيمة، وأما ان نكون في المقدمة، أو من الأصدقاء الذين يحاولون ان يكونوا في المقدمة.

وقف قرير العين، مطمئن القلب إلى ما فعل وأفاد، فهو تمكن من إنشاء صداقة حميمة مبنية على التنافس والتنظيم والاعتماد على الجهد الشخصي..

شابٌ يحمل الجنة

لم أستطعْ السيطرةَ على دموعي، بعث المنظر فيّ بركان من الحرارة فوق جسدي. بدأت ارتجف، فجفلت، واطلقت آهة وجع خافتة؛ كالسهام النائحات انغرزت في قلبي. كانت ريشة عيني تمسُّ الأم وابنها، وأنا أحدّق بعينيهما، وكان قلبي متألماً جزعاً غير دارٍ أي سبب لحزنه المفاجئ.. وأنا أمشي تحت قبة سماء كربلاء الممتلئ برياحين الأربعين، كأنها غابة من البشر، مرسومة بالمعجزة الإلهية.

ادركت أية كآبة مكبوتة خانقة في أعماقي، فآثار الأمس ما تزل تتراءى ليّ. أمي ذلك الوجه القمري المشّع بالرحمة يفوح عطرها كرائحة المزارات في خدمة زائري الأربعين.. غافلة كنتِ عن قلبي وقد أعاده المنظر.

آه .. لم استطع أن أكلّمه فقد عرفته من عيونه انه يشبهني في صغري لكن ما يرعبني انه يحمل أمه على كتفيه وأنتِ كنت تحمليني على كتفيك؛ وتسقين الزائرين ما يروي ظمأهم من الطريق الطويل.

أية مرارة يا أمي، ان يتيقن الفؤاد إننا لمفترقان من عشرين أربعين. كل أربعين مكانك يتغير وكربلاء تتغير. وقلبي النابض يسمع نبأ خفياً انك مع الزائرين وجلست عند سيد إبراهيم المجاب تقرئين عاشوراء، باسم أم البنين. أحسّ انك حيةً، وانك تتنفسين

وأنا فوق كتفك وصدرك. وعبثاً ان انسى كلماتك.. أصغي مستلب الإرادة فيرجع صوتك في قلبي متجاوباً في خفاء رغم سكر قسوتك العذبة.. سأحتفظ بها لك، وسأتضرّع بها تحت قبة الإمام في أربعينيته المباركة.

يا أمي، عن يميني شاب يحمل الجنة، ورائحة المواكب المعزية وسرادق العزاء والخدمة تنضج وتشتدّ قوة، لا شيء يسكتها حتى ملايين القادمين، وألوف المتآمرين، ومئات الخائفين، وعشرات الملحدين.. ما دام مقدّراً للإمام الحسين (عليه السلام) الخلود ينحني كل العالم أمامه على قدميه. فكتب العلماء تؤكد أنه مع المشائين يمشي سنوات وقروناً، وهذه الأربعين، هو يريد أن يسجّل ان الموالين لا يزالون في كربلاء و"حبيب بن مظاهر" شاهد.

كان منظر الشاب وأمه، لا يفارق بصري. وبدأت أخطو خطوة، خطوة نحوهما، وأنا أموج بين الأمواج البشرية المتوحدة بالعشق الحسيني دونما حاجة لشيء.. لِكم أنا أراك أيها الشاب، ولِكم أنت مألوف لي. وقبل ان اقبّل يده الماسكة بالجنة، خنقه انفعال دونما انقطاع، انفجر باكياً.. التفت اليه، وانفجر دون إرادة مني باكياً في وجهه النبيل الذي يحافظ على شيء من جنته. ثم تمرّ من أمامهِ مجموعة شباب بائسين وأشكالهم مضحكة وأصوات -تخدش- الحياء.. ولكل الأسود خرجت من عرينها وانحت الرؤوس وشتت الباغين، تماماً مثل صرة من الأسمال. قوامهم تطفو بين الزائرين

ولا يعرفون كيف يخترقون العدل الإلهي بيوم مردّ الرؤوس العالية على القنا.. والشاب وأمه وأنا، كنا قريبين من بعضِنا، وبحر البشر الهادر يقدمنا تارة ويرجعنا أخرى فعبرنا مع الموج حاجز باب القبلة.. نجونا بكلمة -يا حسين-.

قالت الأم: يا ابني غثيان الموت قد أتي اسرع بي الى ضريح الحسين لأشمّ عطره.. فقد استسلم قلبي وصارعت بي بما فيه الكفاية، وفعلت ما تقدر عليه.. وأنت يا ابني تعرف رؤياي ودعوة زينب الهاشمية لي ان استقبلها واذهب مع قافلة العشق حيث يريد الله.

-آه يا روحي، ويا مرفئي، ويا أفقي، ويا جنتي في نورك أنا أعيش..

ثم بكى وهو ينظر اليّ والى الزائرين، غير أن الوقت قد فات..

الغراب الصديق

صديقي شعور يتسلل الى مكامن الصدق في ما تبقى من خلايا الناضجة في عقلي، لم يستوفي شروط الصدق ولكن قبوله ممنوح في أجزاء المخيخات... يثير في مخيلتي جدلية كل من عرفتهم هكذا يتركون الحروف بلا نقاط أو يبالغون حد الكفر في وضع النقاط في غير أماكنها المفيدة متبجحين بالمعرفة وعدم قبول أي مباح للفضاء.

نزلت في بركة النسيان وطمست بوحل الوحدة هائما في ملكوت خيالي أتوجس فيه الثراء وسط الفقر المدقع وأتشبث في وصايا الكبرياء رغم كسر انفي أكثر من مرة وأمام شهود عيان ومتلونين ممن يظهرون الحب بالحقد ومن من يعلنون الحسد بالحقد وشماتة عنوان عيونهم الوقحة... سافرت في مخيلتي الى عالمي وتلاحقني بعض نبحات ولكن توقف شعوري بالخوف تماما من لعنة الخسارة وكفر الإذلال بعد ما وقفت أمامه لمرات عديدة دون ان اكلمه كنت خائفا تماما من ان يستيقظ فيرى قباحة أعمالي فيضربني بسطرت تلقي بي في محافر الجنون التي بانت ظواهرها على جملة تصرفاتي .. كانت وقفتي أمامه امتحان لي قبل الاستيقاظ لأنني لازلت أعاشر إغواء نفسي وأمد الروح بالمعطيات ولكن خوفا منه ... ويطمئن قلبي انه لا يزال نائما لم يفقه من وجودي بعد... والغريب استيقاظ ألآلاف من الوساوس تحوم

كغربان حولي وأنا أقوم واهرب وأتصدى واضرب لكنها تنقرني بغفلة من ظهري حتى تمكنت مني ووضعتني أرضا وسجنني لفترة... رغم الآلام احترق ظهري من أشعة الشمس فاستيقظت على حرارتها ولعنت في سري ذلك الغراب الصديق.

بكَاءُ الشهداء

دبت الحياة على حركة الناس في اتجاهاتها الطبيعية في سماء مدينة كربلاء على مذياع الإذاعات، وهي تعلن انتصارات (الكفائيين) في كل ثغور العراق، ولا تزال القوات بكل صنوفها تطهّر منطقة تلو الاخرى من جرثومة العصر (داعش)، ولا حديث في الشارع إلا عن الأبطال والوطن، والأرض، والمقدسات، والخونة الذين ظهروا بكثافة لا نظير لها في العالم المعاصر ولا حتى في كتب التاريخ القديم ...

الوقت ظهيرة يوم الجمعة (26- ربيع الأول- 1439 هـ) الموافق (15-12-2017م) اطلق ممثل المرجعية الدينية العليا في كربلاء المقدسة فضيلة العلاّمة الشيخ (عبد المهدي الكربلائي)، خطبة النصر من الصحن الحسيني الشريف بعد مرور ثلاث سنوات ونصف السنة على اصدار الفتوى الجهادية من زعيم العصر وأثر المنتظر، عندما شرع بقتال كابوس الحياة المعاصرة ومطاردتهم، وإعادتهم الى رقادهم الطويل رأفة بهم.. فتظاهر بعدها الالاف من المقاتلين والمواطنين في جميع محافظات العراق لإعلان الوفاء للمرجعية المتمثلة بسماحة السيد (علي الحسيني السيستاني)...

المكان مدينة كربلاء المقدسة حيث انطلقت سيارة صغيرة من كراج باب (طويريج) لنقل المسافرين، تضم غرفتها امرأة بدينة لاهثة شديدة الحزن، ربما تتلوى من الألم، وهي ترتدي عباءتها السوداء

التي تغطيها من رأسها حتى اخمص قدميها، ويظهر على حافة جبهة الراس وشاح ابيض يعكس ضياءه على وجهها الطفولي، من ينظر اليها يعرف انها موصلية الأصل، يجلس الى جانبها زوجها، وقد كان هزيلا ذا وجه مصفر كالأموات، وعينين صغيرتين براقتين، تبدو عليه علامات الحياء وعدم الاستقرار، فيما جلس راكب قرب الزوج والأخر الى جانب السائق... انتبه الزوج الى حالة زوجته، مثير الشفقة.. امسك يدها بلطف واخذ يواسيها بقوله :

- هل انتِ بخير؟

وبدلا من ان ترد عليه قدمت نفسها الى الامام بحركة اهتزت لها السيارة، ازعجت السائق، فخفّض من سرعة السيارة ظنا منه انها ستلقي بنفسها الى الطريق، نظر نحوها وتأكد من غلق الباب اوتوماتيكيا...

فردّ الزوج قائلا:

- يا لها من دنيا صغيرة وعقيمة.. انها معبر مهم لحياة حقيقية، ليس فيها الم وحرمان وجوع...!

ورأى ان من الواجب ان يبين للركاب والسائق ان زوجته بحاجة الى الرثاء بسبب ارهاب (الدواعش) الذين سيأخذون منها ابنها الوحيد وهو شاب في الثاني والعشرين من عمره، وهبا له حياتهما حتى انهما تخليا عن منزلهما في الموصل ونزحا الى مدينة كربلاء بسببه، كي لا يلحق به اذى، بعد ان اكمل دراسة الهندسة في جامعة بغداد، وكان متفوقا بامتياز، ومهندسا جيدا بشهادة أساتذته، وما

لبثا ان سمحا له بالانخراط مع قوات الحشد الشعبي للواء علي الاكبر الذي شكلتهُ العتبة الحسينية المقدسة بعد اطلاق الفتوى الجهادية الكفائية من الصحن الحسيني الشريف، على ان يعود اليهما بعد تحرير الفلوجة، ولكن سرعان ما تسلما منه رسالة تفيد بأنه على وشك الرحيل الى تحرير مدينته الموصل خلال الايام المقبلة من استلامهما رسالته، وأنه لا يستطيع مكالمتهما هاتفيا لضرورات أمنية.. فقرر الزوجان الذهاب لرؤيته والدعاء له.

كانت الزوجة تتلوى من الالم وتنتحب بين حين وآخر، وهي موقنة بان القصة سوف لا تثير اية شفقة او أي عطف لدى الركاب والسائق.. لأنها كانت تعرف عبر الاتصالات مع اقاربها وأهلها وأصدقائها في الموصل القديمة، كيف ان (داعش) مزّق كل شيء جميل حتى دارهم، لم يبق لهم فيها شيء سوى جدران محترقة، وأصبحت وكرا لمرتزقة الخرافة.. هذه الاحداث وغيرها شغلت الرعب فيها، انهم لا يرحمون اهل الموصل، خاصة من يقاتل مع الحشد الشعبي والقوات الأمنية، لذا كانت متأكدة من انها الوحيدة التي تعيش هذه الحالة المأساوية ... فتطلق عباراتها التشاؤمية: (فات الاوان) ابني الان في الموصل سيذبحه الذين لا يخافون الله.

ولم يلبث ان قال السائق وكان يصغي الى الزوج بتمعن وهو ينظر اليه من المرآة الوسطية للسيارة:

- عليكما ان تشكرا الله لان ابنكما لم يستشهد الى الآن، اما ولداي فقد شاركا بالقتال وبالخط الامامي منذ اليوم الاول من اعلان

الجهاد الكفائي (للمرجعية الدينية العليا) في النجف الاشرف، بعد ان زفت مقاتليها الاوائل من مدينة كربلاء المقدسة ومن حرم سيد شهداء الكونين، احدهما عاد جريحا مرتين، ورجع للقتال بروح حسينية عالية، اما ابني البكر فقد عاد به اخوه الصغير موشحا بعلم العراق وراية الحسين.

اثارت مداخلة السائق الفضولية، جوا من الصمت وتبادل النظرات المتوهجة بالأسئلة، والسيارة تشق الارض نحو محافظة يقال انها تحررت تماما من غزو اوباش داعش المرتزقة .

وكسر حاجز الصمت، نحيبُ الأم بعد ان فاض بها الالم والجزع، وارتفع صوتها، بلا شعور: ولدي حافظت عليك برموش عيوني، وسهرت الليل من اجل عيونك.. ولدي الموصل محرقة أهلها.. ارجوك اعزف عن القتال فيها.. بعضهم باع نفسه، وأعطى عِرضه، ووهب ابنته وفخّخ طفله من اجل حلم الانتقام.. انهم اولياء للشياطين.

مع النحيب قال المسافر الذي يجلس قرب السائق وهو بدين يلهث بكلامه، ووجه مصفر كالأموات.

- احرقتِ قلبي ايتها الام .. ماذا اقول لك، ان اولاد ولدي الان يقاتلون جميعهم (داعش) من اجل العراق، ولم يرهم احد منذ انطلاق الفتوى، تركوا اعمالهم وتجارتهم وبيوتهم وزوجاتهم والتحقوا مع ركب المقاتلين العاشقين للشهادة في سبيل المذهب والعقيدة، بمجرد اطلاق فتوى (جزئية لا كلية) لو كانت الفتوى

لعموم العالم لكنت انا وزوجتي وجميع ولدي وأحفادي في خدمة الدين والمذهب والعقيدة.

السائق :

- الارض والدين والمقدسات فوق كل الاعتبارات .. عشت يا عمّ تفكيرك وطني اكثر مما هو مذهبي او طائفي، كلنا جاهزون لتلبية الواجب. ان الدرس كبير وعلينا ان نستفيد من اخطاء الماضي في هذه المرحلة.

فقال الزوج:

- انكم متحمسون وهذا من حقكم وحق الوطن، ولكن يا ناس انه ابني الوحيد وهو مهندس، يمكن ان يفيد البلاد بعلومه.

اجاب السائق بشدة : وما الفرق في ذلك..! انك قد تحرج ولدك الوحيد بذهابك هذا بين اصدقائه المجاهدين. ان الحب الابوي ليس كالخبز تتمكن من ان توزعه على عائلتك بقطع متساوية دون تمييز، سواء أ كان عددهم واحدا أم عشرة. وان كنت الان تتألم لمشاركة ولدك في تحرير محافظته الموصل، فإن المي الان مضاعف، لان كِلي ولدي الآن على محاور الموصل لمساعدة وإنقاذ اهلها الطيبين من ظلم (الدواعش).

ساد الصمت على غرفة السيارة وتنهدات بكائية خفيفة تصدر من الجميع، وكسر الصمت الزوج وهو يتنهد بارتباك واضح فقال:

صحيح، ولكن افرض (وكلنا أمل ألا يحدث هذا) ان اسرائيل وأمريكا ودولا عربية اخرى دعمت المدعو (البغدادي) لمصالحها

وذبحوا اولادنا علنا امام شاشات الفضائيات بلا خجل او خوف من خالق الكون، لان وجود (داعش) صناعة معاصرة تجمع المتناقضات على جميع الاصعدة (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية)، فهي مجاميع خارجية وليست داخلية، تنطوي على الصراع بين القوى وبين القيم. وتستهدف بالدرجة الاولى شيعة العراق والقضاء على منهجها وأفكارها وعلى القوى الحقيقية التي تمثلها.

- فقاطعه السائق- نعم انهم يسعون الى تفكيك العراق بكل طوائفه وإضعافه . ولكن كُتب على العراقيين أن يصارعوا دولا وقوى اجتمعت عليهم في أطوار متعاقبة من تاريخهم الحافل، ولكن الله كتب لهم ان يجتازوا المحن، وان يخرجوا دائما من كل ميدان للصراع أصلب عودا ليستأنفوا الحياة الحرة الكريمة من جديد. واليوم برهنت الفتوى الكفائية للمرجعية الدينية العليا، ان اقوى القوى المادية الراهنة لا تستطيع ان تفعل شيئا أمام عقيدة وقوة الحشد الإمامي، قوى المستقبل المنتظر.

فقاطعهما الراكب الذي يجلس بجانب الزوج، وهو اسمر الوجه، ويرتدي نظارات ملونة قائلا:

- ابتعدوا عن نسيج السياسة والاحتمالات، واسقونا من الم الفراق الذي يصاحب الاب والأم عند ذهاب فلذة كبدهما الوحيد الى الموت بشجاعة..

وبدت من وجهه السمراوي علائم عنف داخلي، نتيجة الحوار، وعاد يقول، وهو يضع يده على عينيه الجاحظتين بعد خلع نظارته ليخفي دموعه التي انهارت على وجنته بلا إذن او سيطرة على جيشان عواطفه.

- ما هذا القدر الذي يلاحقنا. هل نهب حياتنا لأولادنا لفائدتنا؟.. اولادنا خلقوا لأنهم كُتب عليهم ان يكونوا أبطالا، وما علينا إلا ان نصبر ونتألم، عندما يأتون الى الحياة نفرح بهم ولكن وبدون ان يشعروا بأنهم يأخذون حياتنا معهم. وحالتي تشبه حالة الكثيرين، انه ابني المدلل، فارقني من اجل الدين والوطن والعقيدة والمقدسات. بماذا اصنع بالدين والوطن اذا مات.؟.. هناك من عنده ولدان اذا مات أحدهما فيظل له ابن واحد يواسيه، ولكن انا من يواسيني اذا فقدته سأموت حتما؟!.

نظر اليه المسافرون وهم منه في ضيق. وتنهد السائق وهو يرمقه بنظرة لا تخلو من الحسرة والألم وقال:

- انت على حق، أن اولادنا ليسوا ملكا لنا بل هم ملك الوطن والعقيدة والمذهب.

رد المسافر الجالس قرب السائق:

- هذا كلامكم فيه شبهة..! هل نفكر في الوطن والمعتقد في الوقت الذي نهب فيه حياتنا لأولادنا.. ؟ وعندما يأتون الى هذه الدنيا يأخذون حياتنا معهم.. الحقيقة نحن ملك لهم غير انهم ليسوا ملكا لنا، خاصة بعد بلوغهم سن الرشد والتكليف. (الوطن،

العقيدة، المذهب، المقدسات)، كلنا نستجيب لنداء الدفاع عنهم بلا تردد او خوف عند الضرورة القصوى.

أخواني، لماذا لا تفكرون في مشاعر أولادكم، أحفادكم، اخوتكم وهم في سن النضوج ؟!. يحلمون بوطن خال من الإرهاب اليس من الطبيعي ان يدافعوا عن أعراضهم.. طبعا انا اتكلم عن الابناء الصالحين، وليس عن الابناء القابعين بين جدران بيوتهم. الوطن والمذهب يحتاج الى رجال، ولا بد من وجود من يدافع عنهما وهما كالماء الذي يشربه كل فرد كي لا يموت من العطش، وإذا استشهدوا، فأنهم يستشهدون بشعور ملتهب بالسعادة...

ابني ارسل لي شخصا من قبله، ومعه رسالة كتبها قبل استشهاده كتب فيها، انه سيستشهد سعيدا راضيا من اجلي ومن اجل الوطن والأرض والعرض والمقدسات، ويوصي امه ويوصيني بان لا نبكي او نرتدي ملابس الحزن، وقد زفّ الى المنية بكل سرور بعد طيفَ جدثه في ضريحي (الحسين والعباس)، ومس تابوته شباك الامير(علي) ونهل من عطر الامامة والولاية حبا لا حدود له، وكما ترون لم البس السواد، وحملت حقيبته كي التحق بلوائه المقدس (علي الاكبر)، لأكمل مسيرة النداء الكفائي من الوطن والعقيدة.

بعد ان انهى كلامه ساد الصمت، والعيون اغرورقت بالدموع، وكانت المرأة طوال هذا الحديث قابعة في مكانها وهي تصغي الى كلمات الرجل بذهول، بل صعقتها، وكأن كلامه وجّه اليها صفعة مدوية، استفاقت على اثرها الى رشدها، فأدركت ان حديثهم لم

يكن على خطأ بل جميعهم يشتركون في هم واحد، وأنها على غير رشدها ان لم تستطع الوصول الى مستواهم الابوي، لأنهم قبلوا بالقضاء والقدر، ورضخوا للأمر الواقع دون ان يظهروا حزنهم او يمنعوا اولادهم من ان يساقوا الى الموت، بل هم من شجع الاولاد على محاربة الاعداء وانتظارهم شهداء.

حركت نفسها فجلبت انتباه زوجها والآخرين، فكانت شفتها المزرقة المرتجفة تكشف عن أسنانها، وأما عيناها فكانتا تصبان دموعا غزيرة بصمت، فهي بحاجة الى من يخفف حزنها وان تلتمس منهم شيئا يصبّرها ويعلّمها ما يجب على الامهات كيف الاذعان للقدر وهن ينتظرن عودة اولادهن من الموت، والغريب انها لم تسمع أي كلمة تواسيها فثقل حزنها وهي تشاركهم الاحساس بالأبوة.

تقدّمت قليلا الى الامام ورفعت رأسها، وهي تصغي للسائق بانتباه وهو بدأ يسرد تفاصيل استشهاد ابنه البكر في الشهور الاولى من الجهاد، وأصبح بطلا من ابطال العراق والمرجعية الدينية.

والمرأة وهي تسمع، غابت عن لحظات الخوف، وبدأت تستعيد الذكريات القديمة التي قضى الله فيها امرا كان مفعولا حين حفظها وأباها، وأمها، وأخاها من مجرم شرس من ازلام النظام الصدامي، اراد ان يعدمها شنقا حتى الموت، وهي طالبة جامعية بتهمة توزيع الحجاب للبنات المتعففات ودعوتهن الى الالتزام الديني.. انتبهت على صوت الركاب وهم يهنئون السائق الشجاع

الذي استشهد ابنه بكل بسالة وشرف، كأنها لم تستمع الى القصة وكل ما جاء فيها، بل فتحت عينيها على مصراعيها وقالت للسائق بهدوء ممتلئ بالحزن متسائلة:

- هل ابنك شهيد حقا.؟

التفت الجميع اليها واستدار السائق نحوها بعينيه المندفعتين الى الامام والمغرورقتين بلونهما النرجسي، واخذ ينظر اليها وسيارته منطلقة بسرعة تجاوزت الحد المقرر، ينبّه الركاب الى النظر الى الامام خوفا من الحادث ولكنه بقي لفترة قصيرة ينتظر الرد عليها إلا انه لم يستطع ان ينبس بأي كلمة وكأن الكلمات ماتت في جوف فمه.

عاود النظر بقسوة اليها الرجلُ الجالس قرب السائق، بعد ان استدار اليها بكل جبهته، وظل يحدق بها، ويحدق عقب ذلك السؤال السمج والأبله، وتذكّر ان ابنه شهيد وانه ذاهب الى طريقه الذي اختاره بضميره وإرادته الوطنية.. جمع شتات نفسه كي لا ينفجر في وجهها، وفجأة صرخ بالبكاء وأعقبه السائق وتلاه الآخرون.. الجميع يجهش ببكاء شديد جعل منها تغطي وجهها بالعباءة وبدأت بالنحيب بصوت مسموع.

صانع القرار

كان مضطربا نفسيا، حائر البال، حديثه غمرته نزعة من الحزن، لم يكن راضيا عن تصرفات اصدقائه المقربين، فالتنافس بينهم وصل الى ذروته وبدأت الروح العدائية تظهر بينهم، وبنفس الوقت لا يتفرقون بسبب جدران الصف الدراسي الذي يجمعهم كل يوم، وهم ثائرون على الحياة الجاهمة، يقاومون الحظ العاثر، ويرسمون قدرهم الغاشم، فكل واحد منهم يتقدم من سبقه تطلعا في الثقافة والفكر والدين والالتزام الاخلاقي، ليحسن احدهم صنعا اذ لم يتطلع خلفه، رافعا شعار لا خير في الحياة اذا لم أكون فيها شيئا، بارزا سبّاقا لمن حولي.

وقف يتطلع عليهم، وهو يقرأ في مخيلته طموحهم المشروع، وامانيهم وآمالهم، لم يستطع ضبط روحه المضطربه ونفسه المندفعة وعواطفه الجياشة، ولا يتمكن من كتم شجونه.. اصبح سلوكهم غريبا ومفيدا بنفس الوقت، فهم يتنافسون حتى على القاء التحية والسلام يتسابقون على الوصول المبكر من يأتي متأخرا هو من يلقي التحية ويصافح يد صديقه، أو يأكلوا ببطئ في المطعم حتى ينهض الاول كي يدفه كلفة الطعام، ويرحل بعيدا عند وقوعه في الخطأ او حصوله على درجة امتحانية اقل من صديقه، ويتذمر عندما تكرم الادارة احدهم بالتميز. فالجميع يحاولون ان يكونوا في الدراسة والحياة من الفائزين.

حاول ان يجرب فكرة تربطهم أكثر ببعظهم، ان يكون وسطا، فالصديق الوسط لا يحدث ضجة، ولا يجلب صخبا، ومكان الصدارة في الحياة لا يكون ولا يصل اليه الانسان الا بين الصخب والضجة، وهدير العمل والدراسة المتواصلان.. سرى في نفسه طائفا عنيفا من الحرارة وهو يستقبلهم في غرفة بيته، أنهم الاصدقاء الخمسة المميزين في الدراسة والصداقة، ليقول: اصدقائي نحن على مفرق الطرق، قد تقف الدنيا في وجوهنا احيانا، وقد تضيق بنا او تسخط علينا، ولكن اذا احسنا ضبط النفس وتمالكنا عواطفنا، كنا في اخر الامر جميعنا من الناجحين، واصدقاء متكاتفين.. أعلموا ان من اسباب النجاح في الحياة حسن اختيار الاصدقاء، فاذا صفا لك صديقا، فكن به أشد ضنّا منك بنفائس أموالك، لا تعطيك المقادة في كل ما تريد، فكيف بنفس غيرك، وحسبك ان يكون لك من صديقك أكثره.

واتفقنا سلفا ان لا ننظر الى الذين يمرون في طريقنا، ولا الى الذين يسيرون خلفنا، بل ننظر دائما الى الذين يسيرون أمامنا، فهم الذين يجب علينا ان نسبقهم.

الفكرة اصدقائي ان نتعاهد ونجعل منا قائدا يسير بنا ونسمع له، وسنبدأ من أول امتحان في المدرسة، فمن يحصل على اعلى درجة امتحانية يكون قائدنا الاول حتى الامتحان القادم فكل امتحان من يكون متميزا بدرجته يكون قائد بلا منازع .. وسنعمل

على ذلك حتى في نهاية العام الدراسي الذي يتفوق منا بدرجاته هو الصديق القائد الذي يسير بنا حيث يشاء ونحن له طائعون.

في هذه الحياة اما ان نكون صفرا من اصفارها لا شأن لنا ولا قيمة واما ان نكون في المقدمة، او من الاصدقاء الذين يحاولون ان يكونوا في المقدمة.

وقف قرير العين، مطمئن القلب الى ما فعل وأفاد، فهو تمكن من انشاء صداقة حميمة مبنية على التنافس والتنظيم والاعتماد على الجهد الشخصي..

صوتُ فردوسي

موقف لن انساه ما حييت، انها لحادثة مدهشة، لن يتقبلها العقل بسهولة، عندما هويت كما تهوى الورقة من أعلى الجبل، وانطفأت شمعة المستقبل، وتوقف الزمن عند هبوطها على الارض تتقاذفها الرياح أينما تشاء، لا سلطان عليها سوى بَارئَ السِّمواتِ. امسكتها على حين غرة يد كريمة، حررتها من عاصفة الحياة، انقذتها من السقوط في صيرورة المياه الاسنة.

في الظلام، تعرفت اليها، كنت خارجا من الاعصار، ولا زلت في غيبوبة رؤيتها، عند رؤيتي لها اول مرة، لم ترد على تحيتي، بل رد عليّ صوتٌ لم اسمع اعذب منه في حياتي، شدني اليه بقوة، فقد اعتدت ان اعشق الاصوات الرقيقة واميزها، كانت تنعشني بحلاوة انغامها، وعكس ذلك فان الصوت القبيح الذي لا يروق روحي، يوجع بطني ويجعلها تقرقر منتفضةٌ على غثاثة الصوت.

بقيت أول الامر وحدي، ولم أبق طويلا حتى امتلات ثقة. وان هي الا لحظة، حتى كنت مرة اخرى فوق الجبل، وكان شعاع من نور السماء ينير طريقي من جديد، ووجهها الملائكي يرافقني اينما حللت كظلي، كانت كالفراشة بلونها الابيض المشع نورا تحلق على ارض فردوسية حقولها خضراء وقببها ذهبية وأنهارها خضرٌ عذبة وسمائها زرقاء صافية، وحجيجها طائرون حولها لا هم في

السماء، ولا هم في الارض، فردوسيون الحياة. والحق انها القوة الخفية لهذه الارض، لو كانت في ارض اخرى لا عتبروها الام الحنون الاولى منذ ان خلق الله الخليقة، واطلقوا عليها سيدة الكون بلا منازع..

اعترف انني دهشت حتى الاغماء حين سمعت صوتها، وسألتني فجأة:

- أيمكنك أن تشعل شمعتك من جديد.. ؟ بعد ان قتلت الشر في داخلك..!

ايقنت من عذوبة صوتها، وأنا الباحث عن وجهها بين وهج الضياء، أنها جادة في سؤالها، قلت:

- وهل تقبل مني التوبة.. ؟

جاء الصوت مدويا : من غير ريب اذا التحقت بمدرسة المبعوثين.. ؟ وهي فرصة الفرص اذا شع النور في عينيك من جديد..

شعرت ببعض الاعتزاز، انني احد مريديها، طالما حلمت ان اراها، وبحثت عنها في كل مكتوب ومسموع.. الان وقد رايت شعاعها وسمعت صوتها، وعزمت على ان اراها ما وسعني ذلك.

صحوت وانا اردد، قولها: فرصة الفرص.!، حاولت الرجوع الى ذلك العالم، كان هذا الكلام الاخير، ولم تطرح علي بعد ذلك أي سؤال، نهضت واتجهت نحو المدينة الفردوسية، وكان كل شيء فيها هادئا، كما رايت ولكن ليس هناك محلقين حولها من

الحجيج، هم بشر مختلفين، منهم من انقذ من ايادي الاعصار ومنهم من ينتظر.. جلست قابلة محراب الدماء الزاكيات، مكان الصوت، استشعر السعادة بلقائها مرة أخرى.

الالتحاق بركِب السعداء

لم يصدق ان رفيقه الروحي على وشك ان يصعد السيارات الناقلة للحشد الشعبي المتجه لقتال حاملي الافكار التكفيرية الواهمة: ان بالدم يحيا الإسلام، تمنى له التوفيق وهو يستمع للهجته الجريئة التي يتحدث بها، قليلون اولئك الذين يملكون الشجاعة مثل هذا الصديق...

انطلقت السيارات وسط اهازيج "ولائية" ترفرف امامها رايات العراق والحسين والعباس وأصوات النسوة تهلهل فرحا للأبطال، والأبطال يكبرون باسم الله والعقيدة سننتصر... وظلت الافكار تدور في رأس "احمد" حول سرعة توديع رفيق حياته "علي" والعهد الذي قطعه على نفسه ان يرعى امه العجوز وينفذ جميع احتياجاتها طيلة ايام غيابه، وقد تمالكته كآبة كلما فكر بيوم التوديع، فالصديق الذي عهده ضعيفا رثا معوزا، اصبح اليوم مجاهدا يقاتل في سبيل الارض والعرض والمقدسات، ملبيا دعوة كبار زعماء الدين المتألهين الذي تكونت بأصواتهم أكبر قوة عسكرية بين ليلة وضحاها.

شعر أحمد ان قامته بدأت تصغر، وبدأ كأنه رجل صغير، بنيانه هش، وأصبح عبأ على الارض، تذكر مكتبته التي كونها منذ ان شعر بحاجة الى القراءة لمعرفة الحياة والبحث عن الله والتقرب منه وفك الالغاز التي وضعوها الفلاسفة والعلماء حول الوجود والعدم

والرجعة والمادة والمسير والمخير والأجنبي والعربي، والشياطين المملوكة لسيدها الاعظم..

كانت قناعته تحزم أمرها، بان الانسان هو الله نفسه، فكلما كان الانسان عطوفا ورحيما وعادلا، كان بمثابة الله وما عدى ذلك يصف بمصاف الشياطين.. حاول مرات عديدة، وهو جالس قرب مكتبته، أن يبدأ من جديد بقراءة كتبه، ويبحث في قراءته عن الجهاد في سبيل الله، والأرض والوطن والتراث والمقدسات، ولكن الخجل كان يحول دون ذلك كل مرة، تبقى الكتب مركونة على رفوفها، ويسري عن نفسه بتردد العهد الذي قطعه لعلي ليلة وداعه، فشعر بلمسة حزن وقلق شغل افكاره وأصبح يرتجف كالورقة.. اعتدل في جلسته واخذ يستعيد الماضي استطاع ان يتذكر بداية علاقته بصديقه علي حيث كانا يدرسان استعدادا للامتحانات النهائية وطلب منه مرافقته بمهمة كبيرة قد يخسرا بها مدرستهما ويتحطم مستقبلهما.. هنا طرقت الباب وجاء شخصا من اصدقائه ليقول : هل انت مستعد للمغامرة والتضحية .. اجابه فورا : بنعم، وأردف بالقول: صديقي "علي" الشخص الثالث الذي سيساعدنا في جلب جثة ابيك من سجن "ابي غريب" .. وقتها ارتعبت وخفت، ولكن كنت امام الامر الواقع، اذن انا في مهمة لمساعدة الشوعيين فصديقي احمد جميع عائلته شيوعية بامتياز، ولكن المفاجئة ان اب صديقنا الثالث كان "دعوجيا" اعدم رميا بالرصاص لانتمائه لحزب

الدعوة الاسلامي، وعلينا استلام الجثة ودفع مبلغ (99) اطلاقة اخترقت جسده.

مجاهد لم يبكي والده، واحمد من الشجاعة والتحدي في استلام الجثة من بين طغاة ومجرمين وهو يطلقون الفاظا تمس المشاعر وتخدش الحياء، واحمد يكسر حواجز الخوف والصمت بسرعة حركاته، فأشاد الجميع بمواهبه، فهناك شيء يؤثر بك على الرغم من نفسك كان يحتفظ بجرأته حتى في اشد اوقات عوزه..

اثارت الذكرى وهجا ضئيلا على محياه، وهو يردد مع ذاته ان صديقه يفوق الناس الذين حوله، ويفوقه في الاقدام والشجاعة.

يعترف علي ضمنيا انه ليس شجاع كأحمد الذي فقد جميع اخوته بين مسافر ليس له ارض وبين معدوم على مقاصل البعثيين وأزلام الحزب الحاكم.. شعر برثاء على نفسه وعلى صديقه الذي قرر الالتحاق بالجهاد الكفائي لمقاتلة المتسكعين في دول الغرب الذي احتشدوا باسم (داعش) في ارض الوطن من اجل قتل الانسان بل القضاء على الحكم الجديد الذي يعيد للأمة الاسلامية هيبتها وقدرتها وحريتها الذي رسم حدودها دم الحسين في طف كربلاء.. اما هو استسلم للحذر الذي بعثه فيه مستقبله ككاتب ينتظر فرصة طرح ابداعه وسط خراب الثقافة وامتداد لغات التواصل الاجتماعي والمواقع الثقافية والأدبية الذي اضاعت بعشوائيتها جهود الادباء الملتزمين مما اظهرت ادباء فضائيين بالاسم فقط.

وعلى حين غرة قرر ان يترك كل اشيائه الابداعية، وان يسدل الستار على مستقبله من اجل الوطن والأرض والمقدسات، والالتحاق بطريق الحق، الذي لا يناقش قدسيته اثنان، حمل ما يمكن ان يحمله مودعا مكتبته الضخمة التي شغلته بالعالم من اجل الانسان فخرج بنتيجة، انه لكي يبقى الانسان عليه محاربة الشيطان.. فركب مركب المتألهين، متصلا بصديقه ان ينتظره على سواتر الصد ليكونوا يدا واحدة ومصير مشترك ... ولكن لم تشاء الاقدار ان يلتقيا الصديقان، رجع أحمد في حدباه شهيدا باسلا من اول معركة مع خوارج العصر، بأول يوم لالتحاقه .. أرجعه "علي" مغطى بعلمين العراق والحسين، ليبحر مع الشهداء بسفائن السعداء..

خط شروع الشهادة

لم أكن أتوقع أن كل ما رواه لي أبي سيكون حقيقة... وهو يضيف لبصيرتي بآصرة حب أهل البيت عليهم السلام فأصبح يقيني في ديني ومعتقدي.

أبي إمام وخطيب جامع يبحث عن الطريق الحق ويرفض كل من يذكر (أهل البيت) عليهم السلام بسوء فكان يلزمهم الحجة دائما وحين رشح ليكون احد المشتركين في البحوث الدينية من بين علماء لهم صيتهم الإسلامي... منحه الله فرصة أن يزور مراقد الأئمة والصالحين مما جعله يتمسك بالعروة الوثقى ويموت من اجلها.. وكان يروي لي دائما رؤيته في ذلك المرقد المقدس

-السماء أصبحت شهبا احمرا ناريا يتساقط من على جانبي وخلفي، وأمامي ذلك المعلم الإسلامي الجميل في بنائه وعمرانه وقبته الذهبية المتوهجة.. لحظتها تمركز الخوف في بؤرة قلبي مما علت نبضاته حد الصراخ... بدني يقشعر وحرارتي ترتفع بسرعة، وقدمأي لا تتحركان من موضعهما، ورحلت الذاكرة عن راسي، وأنا في عالم تفصلني عنه حدود مكاني.. النجاة أمامي، والموت خلفي، وأنا أقف عند خط شروع الموت من كل جوانبي.. استسلمت جوانحي جميعها لروعة المشهد وهي خائفة مرتعشة، وقررت السير باتجاه المكان ودخلت بلا تردد وجلست قابلة الضريح شاخصا بصري لا أستطيع الكلام ولم أحاول أن أتحدث ..

المكان يفرض قدسيته وهيبته.. حاولت أن ابحث عن شخص يحدثني بعد أن استرخت روحي لجمال المكان وحلاوة منظره وعنفوان عطره الذي أتنفسه وكأنه يعيد إلي توازني ويقلل خوفي .

جلست منبهرا بالضريح وجماله وانعكاسات ضيائه المنبثقة من لونه الذهبي المطعم بالفضة.. وبلا شعور استمع إلى صوت آذان في غاية الروعة كأنه صوت مقدس قادم من السماء .. نهضت روحي تستعد للصلاة وهي تحلق في فضاء المكان وما أن قال المؤذن(اشهد أن عليا ولي الله) حتى استقرت على ارض المسجد يتقدمها ضوء شديد البيضاء، وأتممت خلفه الصلاة.. وبعد التسبيح بدأ الكلام يصل إلى أذني وكأنه أمر وأنا له مطيع:أنت يا شيخنا عليك أن تقدم أمران الأول أن ترعى عائلة (فلان) تقطن في المدينة حتى يتم زواج أخر أبنائها وبناتها ومن ثم تعتلي منبرك الذي يسمعه الناس من مدينتك وستروي مصيبة استشهاد الحسين (عليه السلام) وستموت مخضبا بدمك وسيتبعك على نهجك اهلك وستكون من الفائزين .

كأنها لحظات واستيقظت وكان رجلا يقف على راسي، يحاول مساعدتي على النهوض حين وجدني على حالة يرثى لها من الرعب .انطبعت الإحداث في راسي وقررت البحث والتقصي عن الأمر الأول وذهبت إلى مكان العائلة وجدها في حالة يأس وفقر وتوليت أمرها.

هكذا أنهى أبي الأمر الأول ونسينا الأمر الثاني حتى جاء محرم الحرام واعتلى المنبر وبدأ بالصلاة على محمد وتوقف وأمامه مئات من المصلين ومن ثم قال (اللهم صلي على محمد وال محمد) وكررها ثلاث وبلا مقدمات، وبدأ يستذكر بصوت شجي مصيبة الحسين عليه السلام بعد أن ذاب في جسده وروحه حب محمد وال محمد .. وما هي إلا لحظات حتى انهال عليه سيل من الحجارة وضرب بالعصي والسكاكين حتى فاضت روحه إلى السماء مخضبة بدمه .

كواكب

تنفست بعمق، وابتسمت ابتسامة الانتصار، لم تتوقع انها بهذه القوة، والاصرار، وهي سيدة بعقدها الخمسيني، وان الله كان معها في كل خطوة، شعورها بالاطمئنان جعلها تردد كلماتها السحرية التي طالما اطلقتها امام عائلتها بكل كياسة ودماثة : ان المرأة تتمتع بصفاء ذهني كبير وسرعة بديهية، مما يساعدها على تحليل الامور وتفحصها بدقة وروية وهدوء، وان قوتها تكمن في اربعة مفردات، هدوئها وتحملها وتفاهمها ومحبتها، والشعور بالامن بالنسبة للمراة هو كل ما تبحث عنه في حياتها... استفاقت على وضعها، محاولة معرفة ما يجول بخواطر، بمن حولها...

الجالسات بقربها احدثن حركات وايماءات، وتسائلن عما حصل لها في سامراء وكيف انقذت نفسها.. من موت محتوم؟ ولماذا اطلق عليها المجاهدين من الحشد الشعبي والجيش، بطلة سامراء.. ؟

احداهن قالت : دعوها ترجع انفاسها فقد جاءت بترابها من حرب ضروس بعد ان عانت، وهي الان ضيفتنا العزيزة، والمرأة السامرائية البطلة..!

لكن "كواكب" اعتلت في جلستها ورشفة بقايا الشاي، وبدأ الحزن يعيد نشاطه على محياها حتى احمرت عيناه، وارتفع نبض قلبها وكأنه طبول تاذن لها بقيام جديد، فاردفت قائلة: يا خواتي انا

كواكب " ام ايمن" الشهيد وزوجة الشهيد "اكرم" ابو ايمن البطل الذي شاغل وحده العصابات وانقذ ما يمكن انقاذه من ارواح خائفة اغلبها من النساء والاطفال والشيوخ من قرية البو محمد قرب سيد محمد أي المسافة بين القرية والضريح لا تتجاوز العشر دقائق مشيا على الاقدام.. ان اجتاز الارهاب القرية انتهى ضريح السيد محمد، كان الجيش وقتها مجاميع متفرقة تاثرت بتكبيرات الارهابين بحرق كل شي امامهم والوصول الى السيد محمد وتفجيره وجعل مكانه مارب للسيارات، هذا الاعلان هز رجال ونساء القرية... وزوجي اكرم مرابط على ثغرة تمنع كل متسلل الى ضريح السيد حتى استشهد، فما كان من امري الا ان اسير على خطاه فجمعت نساء القرية القويات ورابطنا على منع التسلل من جديد، وقتها حمى وطيس القذائف العشوائية واصدامات قوية بين رجالات الحشد الشعبي والارهاب فعاود تكبيرهم باوامر جديدة وهي ترك سيد محمد والتوجه الى الخط السريع الرابط بين سامراء وبغداد، هنا تنفسنا قليلا من زخ الرصاص والهاونات، وتقدمنا باتجاه الضريح كي نحتمي فيه ونموت من اجله..

توقفت كواكب عن الحديث ولكن النسوة لم يمنحنها فرصة امطروها بوابل من الاسئلة، هل استشهدت نساء القرية ؟.. تجيب.. نعم

هل قاتلن قتال الابطال ؟ نعم... وهل وهل وهل .. حتى انفجرت كواكب باكية ،،نعم نعم فقد حوصرنا جميعا قبل

الوصول الى ضريح السيد وبدأ الارهابين التكفيرين بالاعتداء علينا بالضرب، بعد ان سرقوا منا كل شي وقتل النساء الواتي يلبسن ملابس العسكرية وكنت انا واحدة منهن.. حينها وضعوني في برميل معدني مثقب، وبعد فترة جاءني رجلان اخرجاني منه وأمراني ان اخلع ثياب العسكر وأعطوني عباءة، وقالوا لي اذهبي باتجاه طريق بغداد ولا تلتفتي الى الوراء مهما حصل خلفك .. الخوف تمالكني واوصالي جميعها ترتجف وبين نفسي اقول لو يقتلونني كي ارتاح الحق بابني وزوجي واخي افضل من الحساس بالعار والمهانة... فانا ام ايمن واخت سعيد وام الكون ورحم الوجود ... انا المراة التي تهز المهد بيسارها والعالم بيمينها صانعة الرجال العظماء، لن يمسسني احد .. الموت اهون...

قال احدهم ... لا تخافي انت في امان وشرفك مصان ... كأنه قرأ الذي كنت افكر فيه ... دون ان التفت اليهم قلت من انتم حفظكم الله...

جاء صوتهم مشترك نحن سورة الواقعة التي ما انقطعتي عنها وانت في السراء والضراء..

عاش شهيدا

هُنا أبحث عنها، وقد ارتديتُ يقيني، وطويتُ ما تبقى من عمري الفتي حتى أجيء بها إلى كربلاء بالبشارة، فتزفني الأيادي كعريس عشق العقيدة مبكراً. لم أجدها مرة أخرى، ضاعت مني بسرعة البرق. تلك التي ظفرت بها ثلاث مرات وأعرضت عني، وتترك الأثر جراحاً على جسدي الغض.. ثم عدت أطلبها بلهفة على أهبة الاستعداد، كشجاع حسيني جريء، كما لو كنت أهلا لها في أي لحظة، حقا، أنا أهل لها!..

أتأبّط -الميكروفون- وأتجول مع الكاميرا، أعدو خلف الموت. فأنا -أثير كالرعد- دائماً المرئيُّ الثالث في الميدان، والمرئيان: مجاهدو الحشد و(داعش). ها أنا وسط الموت مثل نورس أبيض يقاوم موجات البحر الهائج. رأسي يغرق في خوذته، يروق لي أن ارتديها وهي تغطّ في رأسي، ولكبر حجمها تتدلى وتتمايل مع كل عصف انفجاري، فيعصف الضحك بعقلي، ويطيب قلبي، ولكن داخلي يمزقه ما يرى.

آه، كيف لا أتمزق وهم يذبحون الإنسان، ويحرقون الخيرات ويفجرون المقدسات؟.. آه، يا (داعش) الكافرة والتكفيرية!، جعلت روائح الموت في الأرض الطيبة تنسج الخوف أشباحاً متوحشة، وتترك في الوجوه ظلالا من الرعب، ويأسا في العيون.

لكن الفتوى –السيستانية- المقدسة حفرت القبور لهم، وشهد لها العالم!.

حسٌ بالمسؤولية يأتينيﷺ أشعر بالرغبة في نيل جائزتي الكبرى، وأنا في حيوات عملي.. إنها لحظة إيثار تلك التي أوثّق فيها إن هذه الطغمة الداعشية قد سجلت في تاريخها الأسود كل عجائب الإجرام والخراب لا شكل لهما ولا حدود ولا مذهب. ونصر حشدنا جعلنا ورثة امتداد لطفّ كربلاء الذي لا زال يعطي للحياة فرصة أمل لحرية الإنسان. بهذا اليقين زادت قوتي، وركضت بكل ما أوتيت من سرعة وعبرت رصاص القناص في احدى مزارع– بيجي- واستطعت أن أوثق النصر، واسجل كيف تُحصد الغربان الهاربة من سجّيل الرصاص الحشدي. هي لحظة هيام بالنصر حين اصفرت فوق رأسي قذيفة ضربت الجدار الذي كنت استند عليه، وكان نصيبي شظية في رأسي، وكانت التاج الأول من أوسمة الجهاد.

أعترف إن روحي ضاقت في المستشفى فكل رؤياي كانت تصب في المعركة. وكان أبي يتحدث عني بفخر كابن بار، ويقرّ بأنه نذرني للإمام الحسين (عليه السلام)!.. غفوتُ ورأيت رشقات القناصين بين قدمي تمنعني من العبور، والكاميرا تطير في الهواء - والميكروفون - يُفلت من يدي، وأنا أركض وراءهما، وفجأة وجدت نفسي داخل الكاميرا، وصحوت على صوت مراسل فضائية كربلاء، وصرتُ أبكي مثل الطفل الذي ضاعت منه لعبته.

لم أكن أعرف إنني أحب عملي بكل هذا الشغف من أجلها . كنت أحلم أن تُقبلَ عليّ بعين الله لأكون بجانبه حياً في الدارين. لحظة الإصابة عرفت إن هنا موتاً مخلدا، وعقيدة، وكاميرا، وحرب تهيئ الطريق وتقصّر المسافات. ورجعت مسرعاً أحمل حُلمي وكفني. ونقلت ما نقلت ودونت كل صغيرة وكبيرة بين فئة الحق، وفئة الباطل، واستقر المصير في قرية البشير التركمانية بمحافظة كركوك، مراسلا حربيا مع فرقة العباس القتالية، وعشت اصعب معركة قد تشاهدهما عيناي وتوثقها كاميرتي. هنا كنت مقاتلا وصحفياً، فموقف التحرير كان في اشد ضراوته لكثرة فئران الداعشية وهم يصنعون الموت بأشكاله المُرعبة.

ما زلتُ أرى دخولنا-البشير- وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة من الذبح والحرق. كل شيء فيها تحول إلى أحمر قان مسوّد، والمجاهدون يتلهفون إلى إنقاذها. انغمرت في مهمة توثيق المعركة بالروح التي تسبغها الشجاعة، والحُلم بالعودة إلى خالقها بالصورة التي يحب أن يراها. اشتغلت مخيلتي، وأنا أنقل توترات المغضوب عليهم. المجاهدون يتحركون بسرعة فائقة، الكاميرا سجلت عرضا يبعث المسرة في النفس، بطولات غير متوقعة ولا منطقية، جعلت من العدو يعدو هاربا متبعثرا. في لحظتها شعرت بالزهو كأني أنا الذي خططت لهذا المستحيل الذي كنت أحلم به طوال عمري الوجيز كمراسل حربي في نواة الموت ولا يهمّه الموت. لست مغرما بمحاورة نفسي، فقد تحولت فجأة الى مقاتل. فالكاميرا

أحيانا ترى اسرع من العين، فقد أطّرت العدسة ذاك الكافر وشخّصته كقنبلة بشرية حية وهو يشق طريقه كـ(المستكلب) الجائع، كانت رصاصة بندقيتي أسرع من نباحه المميت. ولشدة الضربة وعنف انفجار جسده النتن، لم أشعر بعدها بما حصل، فقد استيقظت في المستشفى ويدي معلقة برباط أبيض تعلن أنها قد كُسرت. الكثيرون يفرحون للحالة التي قدمتها وتوسّمت بها بوسام الجراح والكسور. لم أحس بهذا الإحساس، وإنما شعرت بخبو، أنا في الفراش وأقراني يواصلون العطاء بالعرق والدمع والدم. دمي يفور لعدة شهور، وأصرخ: أريد أن أرجع إلى الجهاد، فأنا أنتظرها بفارغ الصبر، هي كانت ولا تزال كالشمس تُحجِب عن الأشياء، كما تحجب عن الأرواح. وروحي ملهوفة لاستقبالها دون أن تتغير، تظنها عائلتي سحراً وكانت بالنسبة الي حلماً.

وعدت مع عُدّة الصحافة إلى الساحة، كان الواجب تحرير محيط الحضر، مع قوّتيْ -الأكبر والعباس- والدم عاد يجري إلى دماغي واستطعت تغطية انتصارات الشجعان، وهروب الغربان، وكان قلبي يكاد يسقط بين رجلي من شدة خفقاته، وقد غامت عيناي فجأة بانفجار عبوة ناسفة كسرت فقرات ظهري، ورجعت دون أن أنالها مرة أخرى. أهو حلم أطارده، أم جنون مهنتي؟، أم تفاصيل تربية لا تخون العهد؟. وصبرت حتى شفيت، ورجعت بعكازتي وأمسكت بالميكروفون، والكاميرا خلفي ودخلت معركة تحرير الحويجة والصحراء الكبرى، بالعكازة.. وقد رفضني في

بداية الامر أمر القطعات العسكرية، وقد قال لي بشكل يجمع ما بين الجد والهزل: ارجع كيف تدخل المعركة وانت في حالة يرثى لها.. ؟ أنت تأتي بعكازتك وتريد ان توثق وننتصر. ارجع واصبح بشكل افضل ومن ثم ادخلك للمعارك.؟!.

لكن اصراري في المشاركة كانت مستميتة، وبنفس الوقت بدأ الهجوم على اوسع أبوابه ولا مجال للسجال والمنع فصرخ بي القائد (أثير رعد) أنت لا تموت أبدا.. وضحكنا وقاتلنا قتالا سيحكي له التاريخ فقد تلقى (داعش) منا ضربات قسمت ضهره وظهر اسياده في الغرب والعرب.. وكانت هي تلف حولي ولا انالها اذهب اليها بنفسي، فترفع هي من رأسي أمام جميع القطعات العسكرية حتى كرر القائد: انت لن تستشهد بسهولة. وبالحماس المطلق وبالإيمان الذي ملأ قلبي، وبيقين أمي التي اوصتني أن لا أنسى قراءة سورة الفاتحة للسيدة (أم البنين) لتكون رفيقة درب الجهاد الحامي من ويلات المفاجئات.. وفعلا كانت السند الالهي لي في كل خطواتي بمعنى ان (ام البنين) وأمي كانتا معي في كل خطوة أخطوها لا يغادرا عقلي وقلبي ويقيني بان الشهادة وهما بنفس النفس الذي أتنفسهُ في ساحة القتال. واستمريت في التوثيق والقتال والكل معتمد على نفسه، فالأمر الصعب الذي عشته هو وقوفي على خط ملغوم بعبوة ناسفة، وبنفس الوقت كان الجهد الهندسي بعيد وصبرت في مكاني حتى جاء ابطال هندسة الالغام وانقذوني مع ادواتي الصحفية.. وسرت في عمق الصحراء وتفاجئنا

بسيارة مفخخة مسرعة نحونا، والمعجزة ان سائق (شفل)، شاهد الخطر علينا اسرع أمامها ووضع ساترا ترابيا منعها من الوصول الينا وضربت بالساتر وانفجرت، ومن فوري ذهبت إلى سائق(الشفل) وقلت له: أبو محمد لماذا غامرت في نفسك؟. فقال: انا فدائي للحشد الشعبي وللإعلاميين الابطال.. استشهد أنا ولا أنتم. بصوت ابو محمد زادت همتي وتوغلت أكثر وشاركت في قلب المعركة فتحقق ورفعت رايات العراق والحسين والحشد على كل بنايات ودوائر الحويجة. ورجعت محملا بأفلام الأبطال من الحشد الشعبي والقوى الامنية، ولقطات لزملاء في المهنة فارقونا شهداء ومجاهدين ضحوا بأرواحهم من أجل الدين والعقيدة والارض والوطن والمقدسات.. كل بالصورة والصوت سيأتي اليوم الذي يرى العالم بسالة جنود المرجعية الدينية العليا وهي حققت أكبر انتصار على أكبر وحوش العالم ضراوة والقوة بالمال والسلاح.. كل هذا لم ينسيني ان أحلم بالاستشهاد.. فعوضت ذلك بحمل كاميرتي في توثيق بيوت اعطت الرجال شهداء وعلينا ان نظهر صبرهم وقوتهم وعقيدتهم الى العالم أجمع.. فبعد كل هذه المسيرة وتحقيق النصر العقائدي والمذهبي والوطني، بقي حُلم الاستشهاد قائماً في روحي وقلبي وفي كل نفس فيّ يقول: سيأتي يوما وتكون اسماً بين أسماء الشهداء.. فأبق يا (أثير رعد عبود الشمري) شهيدا حياً..

لن يسرقوا الشمس

انفصلتْ عن ضوضاءِ الانفجارات التي كانت تتخم الشوارع بانواع الاسلحة، وابتعدتَ عن مدى الرصاص بتراجع ماهر بعدما انقذت ما يمكن انقاذَهُ من النساء والاطفال والشيوخ، تنظر خلفها بين فترة واخرى حتى انتهت اقدامها بين الاشجار، لم تفكر بستراحة، بل واصلت المسير، كان لازم عليها ان تصل الضفة الثانية حيث يرفف العلم العراقي، هو الدليل الذي يتجه له الهاربون من (داعش).. لقد تمكنت اخيرا من الوصول، وبدأ المطر بالهطول وعاصفة في شبه الظلام.. بضع خطوات وتكون تحت سارية الامان، لكن المسافة تطول، واصوات الحشيش واصوات تدمدم ارعبتها، واصبحت اكثر حذرا وانتباها، ترفع بندقيتها وتدورها الى الجهات الأربعة، تقبلها وهي تتمتم : الانسان دائما ما يحول العلم الى اداة تدمير لنفسه ولغيره... " تضحك مع نفسها.. العلم يتقدم، والإنسان ينحدر معه الى دركٍ اسفل من انواع الخلق... لم اشاهد مخلوقات دموية كـ(داعش) بهذه الوحشية والقساوة، انهم ينهبون كل شيء، والرجال الخنثى يؤيدون ويهزجون لهم بالنصر، ويصدرون البيانات والتشريعات مثلما يريدون... عجبا لهكذا رجال يوافقون على تزويج بناتهم الباكرات الى حثالة المجتمع الغربي، والأدهى هناك من لا شرف ولا غيرة

لهم يمنحون زوجاتهم حبا بالدولة الاسلامية ظاهرا، وفي نفوسهم حب المال والسلطة على رقاب الفقراء..

بكت ولطمت وجهها على ذلك الموقف المهين حين قاد عمها موحان ابنته ليزوجها زيجة (جهاد النكاح) لذلك الامير الافغاني الوسخ، الذي تبجح امام شيوخ المنطقة وهو يمدح شيخ موحان الذي يمثل القضية الاسلامية الداعشية ويدعو الشيوخ الافاضل ان ينحو منحه الشجاع..

افزعها الرعد والسماء تتنور وتبرق بشدة والمطر لم يتوقف، والظلام يداهمها، فلم تستطع ان ترى من بعد خطوتين امامها.. ويصل اليها صراخ من البعيد انهم يقتربون لقد اكتشفوا ان بيت الشيخ خالٍ من النسوة والاطفال واكيد هم الان يتتبعون الاثر!! تمشي بين الاشجار بصعوبة، تتلمس وتتحسس: "يا الهي كم هي تبرق، انيري كل الافجاج! حتى ارى طريقي" تسمع صوت خطوة، تبطئ مسيرها وكأنها تجرجر رحيين.. صمتت وتهيئتْ للصيد ان ظهرت فريستها!..

- سأقتل من يكون حتى لا يقولوا (جيهان) وقعت عبثا، يجب ان اتمرغ فيه قبل ان يتمرغ بي.. بكت بشدة وهي تكرر "يجب ان اتمرغ فيه قبل ان يتمرغ بي"، ليته استشهد قبل ان يقع بين ايديهم.. "آه يا سمير يا بطل الحشد ايها الكربلائي الاصيل ابن العراق، ليتك قتلتهم بدلا من تضحيتك لانقاذ الاهالي موقف صعب كيف لي ان انساه او اخاف من بعده، قطعوا راسه وهو يصرخ لبيك يا حسين

عاش العراق، ضربه المتوحش ضربات قاسية هشم راسه حتى انفصلت فروة الرأس عن جمجمته الطاهرة".

اشتد المطرُ، ثَقلَت خطواتها فلم تعد تميز في الظلام شيئا، اخذت تبحث عن نقطة ضوء تلجأ اليها ترفع رأسها الى السماء، تدعو اللهَ بحق المجاهدين في سبيله، ان ينقذها من هذا الدرس القاسي، كورت نفسها تحت جدع شجرة وبدأت تقرأ أية سورة تخطر ببالها من القران الكريم حتى انتابها النعاس ورحلت الى عالم الغيب دون حراك او اضغاث احلام فهي قد تطهرت بماء السماء فلا خوف عليها ان ماتت فهي طاهرة بهذا الهاجس الروحي، فتحت جيهان عينياه وفوقها يرفف العلم العراقي والشمس تدفئ جسدها والرجال يحيطون بها يطمئنونها، انها في امان ابتسمت وقالت: الاولاد والنساء والشيوخ..

- وصلوا جميعهم بانتظارك

رفعت رأسها تكرارا الى السماء والى عين الشمس، فتنهدت بفخر انهم لن يستطيعوا ان يسرقوا الشمس.. لأنها ستطهر ارض العراق من دنس الأنجاس.

لم أزل أعيش جرح الجحيم

لا تندفعِ في حماس رخيص، ان الحب يتطلب كلاماً قليلا، واضحاً من دون انفعال مفرط. أهتمي أولا بالزرع قبل الارض، ليكون اساس عشقكِ متين. دعِ مزاجك جانباً ولا تضطربي حين يأتي على بيتك. أجلسي أمامه وفكري في مستقبلك، وانطلقي بأعماق قلبك الى اعماق قلبهِ، لُترهفي السمع والفؤاد. أمامكِ صراعٌ لابد ان تجابهيه، والزمن كفيل بمساعدتكِ.

ما هذا الحال وانكِ تقضين وقتك في النظر في المرآة.. أيتها المرآة: أتواتيني الجرأة ؟!، وكيف يتسنى لي أن أبدأ ؟. أتكون لدي القدرة على فعل كل ما تخيلته بمخيلتي، مع أني رأيت رأسي الذي دب اليها الشوق الاعمى؛ هي لحظة رأيت فيها عظمتي وهي تومض وتخبو. بعد كل هذا، وما هو أكثر منه!؟. لا تواتيني مستحيل الجرأة ان أقول بالضبط ما تخيلته قبل أن يطرق الباب.

كانت تحيط ابتسامته الذهبية شامتة، وأنا أراه رجل كبير محدب. استدرت نحو البيت، بينما كانت يده لا تزال على الباب. وهو يقرن هداياه بأساليب ناعمة كإقلاق الشياطين، كأنه يؤشر بحركاته قائلا: أنا الذي كنت قريبا من قلبك وقد أبعدت عنه. وتستثيرني حواسي لتعلل كل حركة فقد ضاعت عاطفتي فجأة لكن غريزتي مشتعلة رغم ضعف بصري وشمي وسمعي وذوقي ولمسي، لا أعلم كيف السبيل الى استخدامها لازداد قربا منه.

جلسنا على الارض فالصالة خالية من أي أريكة او كرسي، فقط فراش ارضي ومدفأة صغير عليها ابريق الشاي، شربنا الشاي بهدوء وتجاذبنا أطراف الحديث والزمن يسري، وشعرت بالخوف حين أراد أن يقترب مني. أخذ يعرق وهو يهمس همساً في حديثه.. عيونه لا أجسر على لقائها في الخيال، في هذه اللحظة كانت مرعبة كلما ازداد بي قرباً. اصبحت أدور حول نفسي، حول رجل يرغب بي منذ كنت طفلة. رجل ممتلئ بالحيوية والرجولة. ارتفعت فيّ الصور بين الفكرة والواقع عندما يختفي الحبيب عن الانظار ويهرب من الحقيقة ويستبسل على حبهِ، ويأخذ معه الاسرار الجميلة ويُحولها الى جحيم.. الى تجارة صيد والسمكة أنا الآن سهلة صامتة جعلتها أحلامها طازجة للأكل بعد هذا العمر.

كانت مشاعري ظاهرة وخفة اقترابه بلا هموم بلا شكوك، تتوه عيناه بالرغبة الجامحة.

أخترع ضحكة على سخرية افعاله وعفن غاياته. بينما تأتيني من رأسي صرخات وتأوهات وتزورني وجوه مألوفة بين الحركة والفعل بين الانفعال والاستجابة.. أصحى، وأنا بين الرغبة والنفضة. يا الله اية صور تذهب وتعود في رأسي.

آه يا أمي.. آه يا الله ما زال يحد نابه كالكلب قاصد جرحي.. ولم أزل أعيش جرح الجحيم من أول قبلة حرام سريعة قبلت بها بالخفاء، واحتفظت بنشوتها ليالي ونهارات، ولآن عمري تجاوز

الاربعين وأحلم بها كلما غزاني الشوق وارتفعت بي حرارة الجسد فتبدأ الروح تطلبها فيعيدها عقلي الى خيالي..

هذا النبض في الروح الاضعف والاقوى أموهوب هو أم معار؟. انا الذي فعلت هذا، ونسيت وها انا اتذكر. فعلت هذا جهلا نعم كنت صغيرة، وأمي كانت تثق بهذا الرجل لكونه جزء من دمنا العائلي. فعلتُ في شبه وعي اليوم، أخذ حقيقي كي اسلخ من عقله كل ذكرياتي واسحب ورقة الخوف من قلبي. قبل البداية كل شيء يكون دائما الآن.. الجسد يتعذب وينوء بالعبء فينشق واحيانا يتحطم، وتشد أوتاره فتنزل وتنزلق وتموت.

عشقٌ أخضر

لم أكن متأكداً أن روحي مملوءة بالحبّ، والقلب يمكن أن يعشقَ في هذا العمر. لم يتغيّر شيء في واقعي، لا خلقي، ولا الناس، ولا السماء، ولا السياسات. أشعر أني طائر بعض الشيء، وأستطيع قول ما لم يقال، كل ما كتمته وأخفيته في ذاكرتي الممتلئة بالصمت والنظرات قد استغرقت عمراً للوصول الى الشجاعة. فالمكان كان خلاصي من هموم اليأس.. هو خطوط القدر التي تشير الى سبل النهاية المكتوبة، مؤكدة سقوط السُرة في أروقة هذا المكان، الدليل أنني رجعت من أقصى البلاد، خاسراً كل شيء، ووجهي غابة من الشعر بفعل اللحية، وقلبي جامد ودمي بارد ولساني لا يجرؤ على الاعتراف بالمصائب. تركت ذلك لمن يبتسم في وجهي ويساعدني وينشر غسيل أوجاعي لكل من يعرفهم ومن لم يعرفهم. المشكلة أنّ الجميع أشبعوني نظرات تتجه الى الأعلى كلما نظرت إليهم، ويتوجهون بكلامهم لأقرب شخص كأنهم يخافونني أو يخفون عني شيئاً، ويحشون كلماتهم بجمل مجهولة المعنى. وأنا لم أكن أرى شيئاً. منقذي كان يجيد إقناع الناس الى درجة أنهم كانوا يصدّقون ما يريد أن يقوله عني. كانوا يضحكون عليّ رغم علمهم من الأخبار الافتراضية أنني غير ذلك وان الزمن دار دورته فقلب حياتي رأساً على عقب. الأعمال الجيدة دائما تنتج صلحاً مع السامع بالضد.. فالحاسد يقول بحسده عبارات ناقصة،

مبتورة، مليئة بالغِيبة والكذب، ويلتفّ لسانه ثم ينعقد. أما أنا كنت أمضي دون أن أقول شيئاً. فالمكان كان يحكمني بقوانينَ وشرائع وأصول في الأخلاق وتهذيب الكلام.

لم يحدث أبداً لأيّ شخص زارني وغادرني غير راضٍ عني.. بل يحبني ويتواصل معي. ومن بعيد كان يتابع الزائرين والمنصرفين في لؤم وحسد وكبرياء. فلم يفهم لماذا هذه الزيارات بعد كل ذلك الحديث الملتوي؟.. ولا لماذا لا ينصتون إليه؟.. لم يعد أحد يصدّقه، ولم يكن في استطاعته الاستمرار بأخوّتي وصداقتي الزائفة معه فابتعد عني بعيداً رغم قرب المسافات. وما أن ابتعد وقد تقنّنت الكثير من المشاكل حولي.. لكنها لم تنتهِ. كان وجه ابنه الصغير يترصّدني على قارعة الطريق، والمصادفة كان معي أحد الاصدقاء المشتركين بيننا. وقف الصبي الذي لا يتجاوز عشرَ سنوات أمامي ليقول:

- تره لا تفرح بمكانك الجديد، ستخسره قريباً، وأنت أكبر (م دّي) وكل الذي تأخذه من مال هو من صدقات الزائرين.. أبي عنده مال يشتريك ويشتري عشيرتك..

حزت مع نفسي.. كلمات كبيرة تخرج من فم صغير. هنا همَّ صديقي لكي يصفعه على خده فمنعته، ومن ثم رسمت قُبلة خفيفة على رأسه الصغير، ومنحته مبلغاً بسيطاً من المال، وقلت له:

- أنا عمك ولي أسمي وبيتي وسيارتي.. لا تقل هذا الحديث عني يا أعز من كبدي. ركض الصبي سريعاً وهو يلتفّ نحوي

والخجل بان على وجهه ولم أره لأيامٍ عديدة، وسمعت أنه يدافع عني دفاعاً يعرّضه أحياناً للضرب من والديه، حين يقول لهم: (عمي يسواكم ويسوى رأسكم).

بدأ وجوم الوجوه واضحاً على كل من سمع بالحادث، فكيف لصبيّ ان يتحدث بهذا الكلام دون ان يسمعه من المقربين إليه، أو أن أحدهم غره بالمال ليقول ما قاله. كان البعض متأكداً من أنه نقل الكلام عن أبيه ولكن الأب لا يجرؤ على الاعتراف بذلك ويغيّر أسلوبه كلما فتحوا حديث الصبي.. يصبح وجهه أسوداً بفعل العصبية، ويده ترتجف وصوته مبحوح فيتحول إلى عاصفة قد هبت من فمه فينسحبوا من أمامه خوفاً عليه وليس منه.

مع الزمن وتقلبات الأيام والسنين التي مرّت بحلوها ومرّها، لم يعد يهمني شيء او تلفت نظري الأفعال ضدي. مشيتُ بشكل مستقيم بحياتي بعيداً عن كل ما يدهشني من تصرف أحمق أو يصدمني قول سفيه. صحيح أنني أمشي ببطء ولكنني لم أرجع خطوة واحدة الى الوراء.. وتعلمت أن أكون في الصف الأخير بعد كل هذا العمر كي أرى ما يحصل أمامي من ترهّل وكبرياء زائف، وما تحويه من علم حديث قد أطلق عليه – صداقة المصالح – فالكلّ يقرب من يعرفهم خوفاً على مكانه. كل هذه التراجيديات لم أعد أفكر بها فقط أنظر إليها، كنت مصمّماً أن أصل إليه كي يراني بعد فراق طويل، وأن يسمع قصتي التي دمّرتُ بها حياتي.

وحدسي بالأمان والاطمئنان، أحسست أنه يسمعني، وعرفت باب الدخول إليه، فقد انتظرت على بابه كما ينتظر عاشق خائن أو حبيب أذنب. كنت قد قضيت أياماً وليالٍ ونهارات في مكانه، فوق سديم أرضه حيث عطر ترابه وأنفاس عاشقيه.

السّتْـرُ

النبأ قد انتشر واستعدّت المدينة، وفرشت الطرقات بأنواع الزهور، ورُفعت الرايات على السطوح، وخُضِّب وجه الأصيل بلون الفرح، وتضاءل المكان الفسيح بالبشر.. وبلمعان العيون المنتظرة بانبهار، تساقطت رشقات المطر بانْهمار رشيق مُتموّج ثم تحول الى رذاذ خفيف، لتتحول كل المدينة الى زجاجة عطر تفوح بعَبق الزيارة وتستظلُّ بظلّ الولاية.. وكلما تقادم الزمن ازداد الناس شوقاً لرؤيته وتضاعفت أعداد المدينة في انتظاره، وأصبحت الحشود تأتي من المدن المجاورة بغية أن ترى سماحته عن كثب والتبرك بوجهه السمح. بل وحتى أبناء السُنّة، أولئك الذين لا تمتدّ لهم صلة بالشيعة كانوا يستشعرون أهمية هذه الزيارة العظيمة لأكبر رجل دين في حوزة النجف الاشرف، وإن لم تكن معرفتهم به كافية ولكنهم يعدونه الرجل المبارك للمدينة وأهلها، وأراضيها إذ حالفها التوفيق الإلهي أن يحلّ عليها ضيفاً بقامة دينية شيعية عريقة لعدّة أيام..

وتقدّم جميع علمائها وأغنيائها – شيعة وسنة- والقدامى في المدينة ممن لهم ذكريات تراود أذهانهم عن قدوم ابن مدينتهم بعد فراق طويل. فالطفل الذي حُكِم عليه بالتهجير والنفي يعود اليوم وهو في أعلى مراتب العلم.. وجيل عقب جيل، البعض منهم كان يتخيله بصورة إمام، وبعض كان يتقن معرفته ورسم على شفتيه

حلاوة ابتسامة رجل دين منفي لسنوات عديدة وهو ابن المكان منذ كان طفلاً مميزاً بين أقرانه. كان أشبه بالجوهرة النفيسة إذا ما وُضعت في مكان مناسب يعمُّ النور والضياء الكافي، تبهر العيون وتتلألأ وكأن شعاعها يسطع من مكنونها. ولكن هذه الجوهرة نُفيت الى مكان بعيد، فظلت المدينة مُظلمة لأعوام.. وأينما كان يحل وجوده تتجلى آثاره ويبهر القلوب والأعين. ها هو اليوم على أعتاب المدينة، ومن منتاه ابتسم الابتسامة ذاتها التي يعرفها القدامى ببشاشة الوجه الذي يشبه القمر، رأى بعينيه التي تتلألأ كالنجوم وتومض وتتدلى من وجهه، تريد بوميضها الدافق المفضض أن تخترق الحشود المنتظرة بحثاً عن غايتها وتحقيق هدفها وتوصيل رسالتها. لكن عيون الجموع تزخر بنظرات الفرحة والسعادة التي تملأ بوابة المدينة وساحتها، وهي تطارده الى جانب التهليل، والتكبير، والتعجيل بالظهور، والصلوات على النبي وآله - صلوات الله عليه وآله-.

وقف بينهم، وهو يشعر بأن رسالته الصادقة تثير فيه السعادة من يمسك بإيمانه ويقينه بالأشياء البعيدة من غير أن تلامس قلبه رجفة شك، فلقد كان يعرف قيمة مهمّته ومدى صدقها، وغالباً ما كانت ذاكرته عن المدينة تستدعي صور الناس وتاريخهم وأفعالهم من دون أن يشير إليها لتضعه في واقع الحال. ولكي لا يكون وجوده مليئاً بالإحراجات، فأنه يحتاج لشيء من الذي يلوّن عيون الناس ويحرّك أفئدتهم.. فذهب الى ساحة المدينة، وهو يحييهم جميعاً

ويدعوهم الى إقامة الصلاة في المسجد بإمامته، وبعد انتهاء مراسيم الصلاة، أخذ كبار المدينة يدعونه للإقامة في دورهم العامرة والزاخرة بالثراء، فرفض.. وظل يرفض كل الدعوات من الأصدقاء القدامى والفقراء، ورفض الإقامة في المسجد او في أي دار من دور المدينة التي شرعت كل أبوابها لاستضافته وإسداء الخدمة له. وبعد توقف سيل الدعوات بادر بالبحث عن صالح اليتيم.. فقال: ابحثوا في المدينة باسرها عن "صالح" ..

وعجز الكثير في الوصول إلى صالح اليتيم، وشاع بالمدينة أن سماحته يبحث ـ من كل ولا بد ـ عن هذا الشخص الذي لا أثر له في المدينة برمّتها.. وكل من اسمه صالح جاء الى المسجد ولم يعرفه سماحته، وتأخر الوقت والبحث سارٍ عن صالح.. حتى نطق أحدهم أن هناك فتىً اسمه صالح العفيف، أو اليتيم اللقبان له.. يعمل عند بائع اللحم "طاهر القصاب" وهو فتى معدم الحال والمال ويسكن مع زوجته منذ سنين ولا يعرف أحد شيئاً عنهما. قال سماحته: اجلبوه لي.

وجاء صالح وما أن رآه سماحته حتى قال له: أنت صالح ابن جار الله المهدي.

- نعم مولانا، لا أحد يعرف اسمي في هذه المدينة، منذ أن جئت إليها.. يعرفونني بصالح اليتيم، وواحد فقط في هذه المدينة يُطلق عليّ صالح العفيف..

- يا صالح، هل تقبلني ضيفاً في دارك، لحين رحيلي عن المدينة.. ؟

- سأكون خادمك، ولكن بيتي عبارة عن غرفة واحدة وبناءه قديم وأرضه رطبة ولا تدخله الشمس.. وفوق كل ذلك زوجتي معي، وأنت لن ترتاح في بيتي أمام بيوت كل وجهاء المدينة.

- صالح، أليس لزوجتك أهل.. ؟

- نعم، لديها أمها وأبوها وأخوتها، وأقرباؤها يملؤون المدينة وأغلبهم من وجهائها، ولكن لا علاقة لنا بهم ألا بحدود رؤية أمها وأبيها...

- أرسلها إذن إلى بيت أهلها معزّزة مكرّمة ولن تندم على استضافتي.

مسك سماحته يد صالح وسارا باتجاه البيت والجموع خلفهما وبينهما.. وكثرت التساؤلات وبعضهم شعر بالذنب اتجاه صالح اليتيم وأمر رجاله بالذهاب الى البيت وتنظيفه وآخر زوّده بالفرش، وآخر رمم الجدار وأصلح باب الدار.. وطيلة ثلاثة أيام تحول بيت صالح اليتيم الى بيت كامل المواصفات لا يحتاج إلى شيء.. ثلاثة أيام وكأنها سنين طوال.. وهما يخرجانِ إلى المسجد سوية ويرجعانِ إلى البيت يداً بيد. والبيت لا يخلو من الزائرين، ومن لهم سؤال عن الدين والدنيا والآخرة، ومن لهم قضاء حاجاتهم ضمن المتيسّر.. وأغلبهم من أهالي المدينة وخارجها يأتون ومعهم هدايا ثمينة لبيت صالح اليتيم.. والقيل والقال والتنبؤات والتأويلات عن

صالح وسماحته لم تتوقف ولم تنتهِ، بل تزداد حتى اختلف بها الأعداء العارفون أو الأصدقاء الجهلة غير العارفين، يقولون: إنّ زيارة سماحته لها مآرب دنيوية. ورغم كل الأحداث المتضاربة بين الناس الا أن البيت كان لا يخلو من سماحته وصالح إلا بعد صلاة الليل.. ولم يشأ سماحته أن يعبّر عن أفكاره أمام صالح اليتيم والناس، لكن صبره وطول استضافته حمّل الجميع مسؤولية التفكير بالفقراء والمُعدمين، وكل بيت يتيم في المدينة زارته بركات سماحته، فلم يكن محتاج او صاحب حاجة الا وقُضيتْ له.

وفي صلاة الليل وقُبيل صلاة الصبح.. وغالباً ما كان صالح اليتيم يستيقظ قبل سماحته ويُهيئ له مكان صلاة الليل، بل كان صالح يسبقه بها، وحين يختم صلاته يصلي أربع ركعات. "الركعتان الأولى والثانية يهديهما الى والديه، ويسأل الله صون الأمانة التي في عنقهِ.. كان يقرأ بصوت خفيض سورة الحمد، ثم سبع مرات من سورة التوحيد، أما التسبيحات ففي الركوع والسجود سبع مرات أيضاً. وأما الركعتان الثالثة والرابعة، حيث يقرأ آية (إياك نعبد وإياك نستعين) في سورة الحمد مائة مرة وتسبيحات الركوع والسجود سبع مرّات. ومن ثمة يسبّح تسبيحة السيدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، ويسجد بعدها ويقول (اللهم صلِّ على محمد وآل محمد) مائة مرة*. ومن ثم يتضرع بقلبٍ كسير "ألهي قد رفع الظالم إليك كفّيه راجياً لما لديك فلا تخيبهُ في رحمتك.. من فضلك). ثم يجزع بصوتٍ عالٍ فمن يسمعه

يخاله قد فقد روحه.. فيختم تضرعه (فيا سوءتاه غداً من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا أفمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط)...

كان سماحته يراقبه عن كثب طيلة الليالي الثلاث، فقال له:

- صالح، من علمك هذه الصلاة.. ؟

- علمني شاب يشتري من "طاهر القصاب" كميات كبيرة من اللحم.

- هل تصف لي ذلك الشاب يا صالح..

- هو شاب في سن الثلاثين، طلعته كالبدر، تحبّه قبل أن تكلمه، وبجانبه شيخ هرم يقوم على خدمته. مرة كنت في غاية الحزن، ومشرفاً على قتل نفسي رغم إيماني بالله تعالى.. وقتها وقف أمامي ومسّد على رأسي وقال لي: صلّ هذه الصلاة عقب كل صلاة واجبة سيزول همّك.. ومنذ ان مسك رأسي لم يبقَ بي ألم في رأسي وشُفي قلبي الموجوع.. بل سُررت غاية السرور لأنني لم أغضب الله (عز وجل) وبنفس الوقت حفرت الصلاة في قلبي وغيّرت الكثير من أطباعي الداخلية، وتعاملي مع زوجتي والناس.. رغم أن عمل القصاب يحجر ويقسي القلب لكثرة رؤية الدم.. وها أنا ومنذ خمس سنوات أصليها قبل صلاة الفجر، وتأتي صورة ذلك الشاب في عقلي، فأراه يبتسم لي وأنا أنشرح بالفرح، فأدقق النظر به أراه يرتدي ملابس بيضاء ناصعة، ويضع على رأسه عمامة خضراء، ووجهه النوراني جذّاب وبهي وعلى وجنته الغرّاء خال

أضاف على ملامحه جمالاً وروعة، وطلعته ذو هيبة عظيمة.. أُقبل إليه مسرعاً كي احتضنه، ولكنه ينادي عليَّ: يا صالح العفيف انهض وايقظ زوجتك للصلاة، وأخرج لعملك.. وكالطفل الصغير أستجيب له وأقول له: سمعاً وطاعةً.. وتكررت هذه الرؤيا دون انقطاع.

- إذن يا صالح العفيف، قُصَّ أنت قصتك لي.. أم تريد أنا من يقصّها عليك.

- أية قصة يا سيدي؟!

- أتعرف ذلك الشاب؟

-لا، وكم تمنّيت أن أراه مرة أخرى، وقد انتظرته طويلاً، ولم يعد لشراء اللحم.. ولم يمر من طريق، ولم أشاهده في مسجد أو سوق..

- صالح، قُص يا بني همك وسرّك مع زوجتك.. ؟!.

وبدأ يسرد عليه قصته بعد أن غلبته العبرات، ونوبة من البكاء، وكان الدمع ينهمر مدراراً من مآقيه:

سيِّدي، كنت الفتى الوحيد لأبوين كبيرين في السن، أمي ضريرة لا تبرح البيت هذا نفسه، وأبي في الشتاء يبيع الحطب الذي يجلبه من بساتين خارج المدينة.. وفي الصيف كان يسقي العطاشى باسم الإمام الحسين (عليه السلام) فكان (رحمه الله) عاشقاً لزيارته وخدمته.. أما أنا فقد عملت صبياً عند (طاهر القصاب) وقد أحسن إليّ خاصة بعد ان تُوفّي أبي ولحقته بعد فترة أمي.. المشكلة كانت

ليست في خدمة أمي الضريرة بعد وفاة أبي، وما مررت به من صعوبة بين خدمتها وعملي في القصابة.. بدأ همي الكبير حين أصبحت يتيماً أدبر أمري وأُقيم فرائضي وأنا سعيد بإيماني وعملي.. حتى جاءت تلك الظهيرة حين قدمت إلى محّال القصابة امرأة مع ابنتها وتحدثت مع (طاهر القصاب)، وبعدها طلب مني الحضور إلى بيته بعد العمل.. وهنا تفاجأت بعرضه عليّ الزواج من ابنة تلك المرأة وتحمّله كل التكاليف.. وفعلاً تم الزواج وكنت في غاية الفرح والسرور.. وجاءت الصدمة الكبرى في حياتي والتي جعلتني افقد أعصابي وهممت إلى قتلها ولكن صوتاً في داخلي جعلني أصبر واستمع إليها وأقرّر إبقاءها على ذمتي شرط أن لا أمسّها حتى يأتي ذلك الملعون من أقاربها والذي فضّ بكارتها ورحل الى مكان مجهول، وجعلها مصيبة على شخص فقير مثلي.. إن قتلتها شاع الخبر، وإن طلقتها فُضحت. وكانت المسكينة صريحة معي وجوّزت لي قتلها او تركها شرط ان لا يعرف أبوها وأخوتها بالفضيحة؛ لأنهم من أعيان المدينة..

- كيف قبل أهلها تزويجك بها وانت فقير.. ؟

- كان دور أمّها كبيراً، وتدبيرها حكيم بمساعدة (طاهر القصّاب).. وكان ما كان.. ؟! فقد حفظت السرّ وسترتها ولهذه الساعة أنتظر قدوم مغتصبها كي أعيد شرفها..

هنا أطرق سماحته برأسه على حجره، وبكى بشدة، ومن ثم رفع عينيه إليه وقال:

- يا صالح قد جئتُ إليك بسبب هذا الأمر الذي يعدّ نعمة من نعم الله التي يسبغها على عبده المؤمن أن يصل الى هذه الدرجات العالية والكرامات والتوفيقات والعنايات والألطاف الإلهية حيث يكون مورد اهتمام من قبل صاحب الأمر والزمان (عجّل الله فرجه القريب).. واليوم هو ختام أوجاعك، وبداية مشوارك أرسل بقدوم زوجتك فهي من هذه الساعة حليلتك وقد رضا الله عنكما بدعاء المهدي المنتظر من أجل أن تمحو صفحات الماضي وتُسعد لحياة أفضل.

وفي هذه الأثناء صدح صوت المؤذن لصلاة الصبح، وهمَّ الاثنان للخروج الى المسجد للالتحاق بالمصلين وأداء الصلاة بإمامة سماحته.. وقبل دخول المسجد.. توقف سماحته واستدار نحو صالح اليتيم ووضع اصبعه على فمه وقال:

- يا صالح لا تقصَّ هذه الحكاية على أحد غيري وليوفقك الله.

******

• كما جاء في كتب (النجم الثاقب، وتاريخ قم، ومؤنس الحزين)

السير الذاتية

حيدر عاشور حمودي شبيب العبيدي
haederashoor@yahoo.com
07709483350
07903857496

الاسم الفني :حيدر عاشور
مواليد بغداد / 1964
- كاتب وقاص وصحفي
- بكالوريوس / جامعة بغداد - كلية الفنون الجميلة(تصميم طباعي) - دبلوم معهد تكنولوجيا بغداد(هندسة طباعيه) 1987.
- عضو /الاتحاد العام الأدباء والكتاب في العراق
- عضو متمرس (عامل) في نقابة الصحفيين العراقيين منذ عام 2000
- عضو جمعية المصورين العراقيين بغداد /المركز العام
- نشرت قصصه في أغلب الصحف والمجلات العراقية والعديد من المواقع الإلكترونية، فضلاً عن عمله المستمر في عدد من الصحف العراقية، والإشراف على العديد من الصفحات الثقافية والإسلامية والفنية والمنوعة.
- حصل على وسام وكتاب شكر من حماية الحقوق الفكرية (حماية حق المؤلف في القانون)..

- صدرت له عام 2011 مجموعة قصصية حملت عنوان (بوح مؤجل) عن دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع في العاصمة السورية دمشق بواقع (151) صفحة من القطع المتوسط . وتكررت طباعتها عن دار لأرسا ودار سبك للنشر والتوزيع

- صدرت له مجموعة قصصية ((زَهَايْمَرات)) عن دار الوارث للطباعة والنشر في كربلاء المقدسة 2014 ..

- صدرت مجموعة قصصية بعنوان(وجوهٌ من الماء).. عن الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين 2021..

- صدرت مجموعة قصصية بعنوان(شموع حوزوية لا تنطفئ) عن دار الوارث في مدينة كربلاء المقدسة 2021.. تبنت طباعتها العتبة الحسينية المقدسة.

- تحت الطبع حاليا نصوص نثرية بعنوان(عشقيات) عن دار الوارث

- صدر له بحث في الفساد الإداري والمالي (الرشوة أنموذجا)... كمشروع تخرج في كلية الفنون الجميلة.

- تحت اليد مخطوطات في القصة القصيرة والرواية وبحوث متنوعة.

- فوز قصة قصيرة بعنوان(قربان النعمانية) ضمن مجموعة (كلنا حشد) اصدار الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، بعد ان حازت على المرتبة الخامسة.

- فوز قصة قصيرة بعنوان (صوتُ ظل) ضمن مجموعة النصوص الفائز لمهرجان تراتيل سجادية ضمن الجوائز التقديرية.

- فوز قصة قصيرة بعنوان (نمرة الفسحة) بالجائزة الثانية في مهرجان تراتيل سجادية لعاد 2018.

- بحوث في حياة سيرة أهل البيت تحت عليهم السلام التنقيب والبحث.

- تحت اليد كتاب سيرة حياة النور الإلهي والسراج المنير الإمام على بن محمد الهادي (عليه السلام).

- عمل في أغلب الصحف العراقية في كمسؤول للصفحات الثقافية والفنية، كمحرر ومراسل وكاتب، وكاتب قصة.

- عمل مديراً للأخبار في الموقع الرسمي للعتبة الحسينية المقدسة

- حاليا محرر وكاتب قصة في مجلة الأحرار التي تصدر عن الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة في كربلاء.

- حاليا رئيس تحرير مجلة الموقف السياسي

- حاليا مدير تحرير مجلة المسرح الحسيني

- تحت الطبع (شموع الفتوى الجهادية) مجموعة قصصية الثانية وهناك اربع مجاميع تحت اليد توثق سيرة شهداء فتوى الدفاع الكفائي في محورين مهمين هما استجابة الشهيد للنداء، ولحظة استشهاده.

الفهرس

مُتْعَةُ الوهمِ..... 5

الفجر..... 9

صلاةُ الأمان..... 12

القدر.. مرايا لا تتشابه..... 18

القشة التي قصمت ظهر البعير..... 21

كأنها خيال..... 24

بخلُ الأغنياء..... 27

كنت هناك عند باب الأموات..... 39

مصباحي لا يكف عن الاحتضار..... 42

دموع الفرح..... 45

الكرامات الإلهية..... 48

عالم الأنترنتُ المدمّر..... 51

قربان..... 62

نذور الأمهات..... 66

يرى نفسهُ..... 69

البُشَارة..... 71

الصديق القائد 76
شابٌ يحمل الجنة 79
الغراب الصديق 82
بكَاءُ الشهداء 84
صانع القرار 94
صوتٌ فردوسي 97
الالتحاق بركَبِ السعداء 100
خط شروع الشهادة 104
كواكب 107
عاش شهيدا 110
لن يسرقوا الشمس 116
لم أزل أعيش جرح الجحيم 119
عشقٌ أخضر 122
السّتْـرُ 126
السير الذاتية 135